

ابراهيم عيسى

أفكار مهددة بالقتل

من الشعر اوى إلى سلمان رشدي



أفكار مهددة بالقتل

من الشعراوي الى سلمان رشدي

ابراهيم عيسى

مَشَقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةُ الْمَكْتَبَةِ مَدْبُولِي الصَّغِيرِ

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

مطابع ستار برس للطباعة والنشر

٤٠ ش المحولات الكهربائية محطة المطبعة - الهرم ت ٨٦٤١٥١

رقم الايداع : ١٩٩٣/١١٥١٩

I-S-B-N:977-5193-54-0



مكتبة مَدْبُولِي الصَّغِيرِ

٤٥ ش البطل أحمد عبد العزيز ت: ٣٤٧٧٤١٠

ميدان سفنكس خلف سينما سفنكس ت: ٣٤٦٣٥٣٥

الوفاء

الى شادي.. أخي
وحاتم.. ابن أختي،
حباً يفوق الوصف

ابراهيم

نوفمبر ٩٣

یصلح مرخو لہذا

الکتب

والکتب^۵ اُخری

□ كل ما أتمناه أن يذهب الناس الى نومهم
مطمئنين... وبقدر الإمكان سعداء.

وكل ما أحلم به.. أن يُحيي الناس بعضهم في
الصبح بحرارة.. وبحب.

وكل ما أريده.. أن يحمل الرفاق والأصدقاء نعش
الأحبة دامين.. ثم يتذكرونهم بعد الجنازة... ويتذكرون
محاسن موتاهم.

كل ما أهفو إليه.. أن أمسك بيد إبني وأوصله حتى
باب المدرسة.. ويعود ليحكى لي ماذا قالت له المعلمة..
كل ما أطمح إليه.. أن يرضى والديّ عليّ ويدعون لي
بعد صلاة الفجر.. ثم يدعون لكل أحبائي... ويدعون
لنصر.

كل ما أسعى إليه.. أن يضحك الناس من قلوبهم..
ثم يقول أحدهم اللهم اجعله خيراً..... ثم يكون خيراً.
كل ما أطلبه.. أن نصبح شعباً يليق بوطن كان
عظيماً.

كل ما يلح عليّ... أنني سأموت... ياليتني أموت
مرتاح الضمير.. لديّ ما يجزييني ربي به وألا أشعر
بالخزي يوم العرض عليه.

وأن يكف دمي عن النزول... يوماً...

إبراهيم

الفهرس الذي صار مقدمة

١ - قصائد الشعراوي لا تصلح للفتوى: لم أكتب عن شيخ أكثر مما كتبت (حتى الآن على الأقل) عن الشيخ متولي الشعراوي حتى أن قارئاً اتصل بي ذات مرة من المنصورة ليسألني هل بينك وبين الشيخ الشعراوي شيء؟
والحقيقة أنه كان سؤالاً مباغتاً بنفس كونه سؤالاً مباشراً وبسيطاً.

وهل بينك وبين الشيخ الشعراوي شيء؟
لقد قلت له - أبدأ.. إنه شيخ جماهيري، واسع النفوذ والتأثير ومن ثم فإن أيّاً من آرائه أو فتاويه أو سلوكياته تصبح ذات أهمية كبيرة لأنها ذات تأثير أكبر.. إنكم تصدقونه، فحين أراه مخطئاً - أو حين أراني مختلفاً معه - أسارع وأعترض وأقند وأناقش وأحياناً أهاجم.

إذا كان الشعراوي لا يتمتع بهذه المساحة من القداسة لدى الناس، لم أكن لأجعل منه هدفاً لكتاباتي وهجماتي (..)
بل والحق يقال إن الرجل - بكل ما يقوله ويزعمه أحياناً - يدفعني دفعاً للخلاف معه والاختلاف عليه وتشريع وتقنين كل ما يقوله.. فلم أر شيخاً يمثل مجموعة من الأفكار الرجعية المناهضة للعلم والتقدم إلا الشعراوي ولم أصادف - حتى الآن على الأقل - رجلاً يستخدم كل المنحة الربانية التي أنعم بها عليه فيما يخدم التخلف بمثل ما رأيت الشيخ الشعراوي.

وإذا كانت أفكاره ضد العلم والمرأة والتسامح والديمقراطية
والمسيحيين لهانت (أي والله لهانت) لكن أن يتحول الرجل الى
سيف مسلط على رقابنا اذا اختلفنا أو عارضنا وأن يصير «بابا»
فاتيكاف على الطريقة الاسلامية، وأن يصبح كذلك جسراً تعبر
عليه الفتاوى الرسمية والسلطانية والمتطرفة على السواء، وأن
تتجسد أفكاره وسلوكياته نموذجاً للإسلام البدوي والفقهاء النفطي
و.. وهذا الفصل الذي أتعرض فيه للشعراوي - وأعارضه، يتركز
على خصلة رئيسية وركيزة أساسية في حياة الشعراوي وهي
تملقه ونفاقه لأصحاب السلطة والمال والجاه، ولأولئك القريب لكل
رئيس (بالفتاوى وبالقصائد).

ان الشيخ الشعراوي نموذج خالص وواضح أشد ما يكون
الوضوح لرجل الدين الذي يستخدم الدين، ولا يستخدمه الدين..
انه خلاصة تاريخ الرجل يتمثل في هذه السطور التي كتبتها وكل
همي على معجبي ومحبي ومريدي الشعراوي، وكل ذنبي أنني
فهمت كيف يؤثر؟ بعد أن عرفت كيف يفكر؟ ثم قررت أن أواجه
تأثيره وأن أحارب تفكيره.

أعود الى القاريء الذي سألني هل بينك وبين الشيخ
الشعراوي شيء؟ وقد عاد ليسألني ومن أنت كي تختلف مع
الشيخ الشعراوي؟

وأجيب (أو أحاول) فأقول أن الشعراوي - على حد علمي ليس

نبياً - كما أنه ليس مرسلاً من لدن حكيم خبير ومن ثم فهو رجل.. نعم رجل ونحن رجال... أما انه قد درس في الأزهر وتعلم وعلم وخطب وفسر، فهذا حقيقي وهام.. لكن ألم يكن الخوارج الذين عاثوا في الأرض والاسلام فساداً إلا مجموعة من القراء الحفظة للقرآن الكريم الذين رفعوا المصاحف فوق أسنة الرماح ليحكم - القرآن - بين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وكرّم وجهه - وبين معاوية بن أبي سفيان.

انهم أنفسهم الأبطال الشجعان الفقهاء الحفظة الذين قتلوا مئات المسلمين وأباحوا دماء آلاف الأخوة في الدين والعقيدة ثم ألم يكن عبدالله بن سعد أبي سرح كاتباً للوحي عند النبي محمد صلي الله عليه وسلم.. وهو نفسه الذي خرج ليقول انه كان يضيف ويحذف في الوحي وأن النبي لم يكن ليدرك ذلك بل يوافق دون أن يدري على قرآن عبدالله وليس القرآن المنزل المنزه المحفوظ.

إذا كان فضل كتاب الوحي والاقتراب من النبي صلي الله عليه وسلم يشفع لابن أبي سرح ذلك.

فلا عشنا ولا عاش (١١)

ثم ألم يكن أبولهب عم النبي بن عبدالله بن عبدالمطلب؟

٢ - شيخ الأزهر بين عبدالناصر وجيهان السادات: مرة أخرى

نعود للمقدسات المتوهمات (٠٠) ان هذا الفصل ليس أكثر من تأكيد أمرين: ان منصب شيخ الأزهر ليس حصانة لأحد ضد أحد، كما أنه ليس - أبداً - معادلاً لكهنوت كنسي أو رهبنة مسيحية أو قلعة ضد النقد أو المناقشة.

شيخ الأزهر فوق «عيننا ورأسنا» لكنه ليس فوق الحوار والجدل.

ثم إن كل ما نسعى اليه - وسنظل نسعى - ألا يصبح الأزهر مؤسسة تكفير ضد التفكير ومع احتكار الدين ضد الآخرين (مفكرين أو حتي معارضين) ان الله لم يعط مؤسسة ولا شخصاً، جهة ولا فرداً حق التحدث بإسمه ولا تفسير قرآنه وشرح حديثه.

إن ما بيننا جميعاً هو حق وحرية الحوار والمناقشة ضد ما نختلف معه أو عليه، وكل ما يحفظ حقوقنا هو التزامنا - كلا الطرفين - باحترام الخلاف وقبول الجدل والرضوخ للحق.

أما الأمر الثاني الذي قصدته من هذا الفصل، فهو التأكيد على أن الخلط بين الدين والسياسة، واستخدام السياسة للدين واستخدام الدين للسياسة وكل هذه التدايير والمحاولات والمؤامرات تليق بأهل السياسة والأحزاب والحكم، لكنها لا تليق بالعلماء والفقهاء.

ومن ثم لا يصح - ولا يجوز أبداً - أن يعمل العلماء - حتى لو

كانوا علماء الهندسة الوراثية - عند السلطة أو السياسة.. كما لا يصح - ولا يجوز أبداً - أن يتحول العلماء والفقهاء الى أدوات في أيدي الأجهزة والحكومات والأنظمة، داخلية كانت أم خارجية، وتحت أي شعار ويأي أسم وأي لافتة، مؤتمرات، أو ندوات أو روابط وتنظيمات لا أحد يؤجر عمامته.. من أجل غرض أو مرض لصالح سفير أو وزير، أمير أو سلطان.. أو منصب وجاه.

وإنني على يقين أن كثيراً مما أريد أن أقوله مضمّر ومستتر وأن علانيته شاقة وصعبة، لكنها - بكل ما تملك من قوة الحق - قادمة وأتية لا ريب فيها... تكاد نراها.

٣ - تكفير الشيخ الغزالي... قلت وأقول يوماً أنني أحب الشيخ محمد الغزالي، وهو في غنى عن حبي كما أنا في غنى عن حبه أو كراهيته (١٠) إن ما يجمعني معه هو أجر البحث عن العلم والمعرفة وخدمة الدين والمسلمين.. أما إن أصبنا فلنا أجران وإن كنت أتمنى أن أحظى بهما وأحصل عليهما إلا أنني - راض أشد ما يكون الرضا - حتى بالأجر الواحد (١١).

الشيخ الغزالي رجل مستتير وفاهم، مقاوم للفقهاء البدوي المتشدد، له أفكار كثيرة عن المرأة والدين والفن أكثر تقدماً من شيوخ آخرين كثيرين أعمتهم فتاوي النفط وروابط الأنظمة (١٠) وغوغائية المتطرفين وجماهيرية الإرهابيين (١١).

ومع ذلك فإن الرجل قد صدمنا تماماً بما أفتى به وفيه في قضية المفكر الراحل فرج فودة الذي أغتيل بأيدي الإرهابيين تحت زعم ودعوى أنه مرتد.

وقد...^{١٠} هذه الأفكار الواردة في فتوى الغزالي أمام المحبس. مع احتفاظي التام باحترام الاختلاف لكن الدرس الذي تعلمته من صدمة فتوى الغزالي التي تبيح القتل (..) هو أن الولاء والحب لا يكون للأشخاص ولكن للأفكار، كما أن الخلاف والاختلاف لا يكون مع الأشخاص ولكن مع الأفكار (..) إن الحب والكراهية دائماً للنصوص قبل الأشخاص.

الشيخ الغزالي دمث وهادي ومفكر ومستنير، لكن له أفكاراً سوداء وآراء مظلمة وفتاوى قاتلة نحن إذن نحب دماثته ونؤيد استنارته، لكننا نختلف ونعارض ونهاجم سوداوية وظلامية فتاويه الأخرى.

لا خير - إذن - فينا إن لم نقلها للغزالي ولا خير - فيه - إن لم يسمعها.

وقد قلنا

أما أنه قد سمع

قالله أعلم

٤ - أنف شاهين... أما شاهين فهو د. عبدالصبور شاهين

الأستاذ بكلية دار العلوم.. أما أنفه.. فهو الموضوع كله. إن
د. شاهين نموذج خالص مصفى لما حدث في مصر خلال
٢٠ عاماً هي «أسود» ما عاشته مصر في الحقيقة.

لقد تحول الرجل من مجرد مدرس بكلية دار العلوم الى نجم
ديني ولا مانع من النجومية الدينية (رغم أن كل النجوميات في
الدنيا مسموحة إلا نجومية الدين فمخاطرها أخطر كثيراً من
مخاطر نجوميات أخرى)... النجومية الدينية جرت بانتظام
ويخفت وبدأب.. أولاً فتحت له أذرع الصحف القومية والحكومية
ثم أبواب الاذاعة والتلفزيون، ثم صار منذ ١٩٨١ وعقب اغتيال
الرئيس السابق أنور السادات في حادث المنصة الدموي الشهير،
صار نجماً رسمياً محاطاً برعاية وحفاوة من الحكومة المصرية،
فالذي حصل أن البعض قد قرر خوض عملية غسيل للأفكار
المتطرفة في أدمغة الشباب (١٠) فنظم من خلال التلفزيون شيئاً
اسمه «ندوة للرأي» كانت تذايع كل يوم جمعة في الساعة
السادسة والرابع مساءً، مجموعة من العلماء (أو من يعتقد الذي
أتى بهم أنهم كذلك) تتحاور (ثم أصبحت تحاضر) مجموعة من
الشباب في الجامعات وبعدها عمالاً في مصانع وشركات، وكانت
الحلقات تذايع بانتظام على مدى سنوات، وأحد ضيوفها الهامين
والاسبوعيين والدائمين د. شاهين.

وحسب الناس أن هذا هو الدين..

نعم.. لقد كانت هناك عشرات الفتاوى والآراء الرجعية المتخلفة المتسترة بالدين تذاغ وتلقى من خلال هذه الأقواء وحججاً كافية وحدها لإشعال حمى التطرف وإعداد النفوس لإرهاب أقسى، وبينما كانت حلقات الشعراوي التليفزيونية تذاغ من ناحية، كانت حلقات شاهين ورفاقه تذاغ من ناحية أخرى، فضلاً عن برامج أخرى تصب في نفس المصب.

ولا أظن أن كلامي هذا يعني انني ضد البرامج الدينية في التليفزيون.. أبداً.. لكنني ضد نجوم البرامج الدينية في التليفزيون المصري كلية وتاماً، وقد يكون أحد العوامل صاخبة الأثر في تكوين مساحة تعاطف كاسحة وواسعة للمتطرفين والفكر المتطرف.

المهم أن د. شاهين صار منذ هذا اليوم ماركة مسجلة على أنه مرجعية هامة في التفكير الديني، كذلك على أنه واحد من المرضي عنهم والمفضلين لدى جهاز الحكم في مصر، وبعد فترة ليست قصيرة كان هذا الرجل نفسه عضواً بمجلس إدارة شركة الريان لتوظيف الأموال، وهي شركة ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أو التشكيك أنها شركة «نصابة» «أكلت حقوق الناس بالباطل» و«تاجرت بالدين» وما قلحت تجارتها.

كان عبد الصبور شاهين نجم فتاوى هذه الشركة وأحد رموزها ومفضلها لدى أصحابها، بل كان أيضاً واحداً من عشرات

الشيوخ الذين حصلوا على شهاداتهم العلمية من الجامعات
وشهاداتهم الجماهيرية من التليفزيون وكانوا جميعاً في خدمة
«الريان»، كما كان بعضهم تحت «ذقته»!!

ماذا جرى؟

انتهت مأساة ومسخرة الريان.. بينما ظل كل رموز شركاته
نجوماً في الدين.. والتليفزيون.. وانقر د. شاهين بخطبة الجمعة
في مسجد شهير بالقاهرة، وظل ضيفاً رسمياً ودائماً على
التليفزيون المصري، ثم ماذا جرى؟
ولا حاجة..

ما جرى هو ما يجري في مصر منذ ٢٠ عاماً، هؤلاء الذين
يتغطون بالتليفزيون واللى امثلكوا مساحات هائلة من التأثير
في الناس، بينما لم يستطع أحد ولم يجسر شخص على
مواجهتهم وتعريتهم، وبينما استغنوا هؤلاء تماماً عن كل فتاويهم
وأحاديثهم في الستينات حيث كانوا يؤيدون النظام الاشتراكي
بالآيات القرآنية والفتاوى، اغتنوا هذه المرة بالفتاوى والآيات
القرآنية لصالح الرأسمالية.

واستمروا يقومون بدورهم على خير وجه.. وخير ظهر، ومن
أحد أهم الأدوار التي يلعبها هؤلاء هو الوقوف ضد العقل
والاجتهاد.. ضد العلم والبحث.. ضد التنوير والعقلانية.

فلما تقدم د. نصر حامد أبو زيد الى جامعة القاهرة بمجمل

بحوثه ودراساته وكتبه للترقي الى درجة الأستاذية عرضت هذه الأعمال على اللجنة العلمية المنوط بها رفع تقريره - سوان الترقية.

وكان أهم ما حدث هو تقرير د. عبد الصبور شاهين في أعمال أبو زيد.

والذي انتهى - تقريباً بالمعنى أو باللفظ - أن الرجل كافر أو أنه يطعن في الدين الاسلامي.
ثم قامت القيامة..

وصارت القضية كيف يبيع استاذ جامعي نفسه حق التفكير!! والمساغة والمناقشة والبحث العلمي!! وانطلقت حمم الاتهامات الباطلة الحقيرة ضد د. أبو زيد فقط لأنه اجتهد وبحث وكتب ونشر وكلها أفكار متاح للقراء الاطلاع عليها واكتشاف مدى الظلم الذي عانى منه مفكر كبير مثل د. أبو زيد الذي كل ما فعله هو حق قراءة المراجع الدينية وطرح القضايا التي أثارت قديماً في زمن أكثر صلاحية للإستخدام الآدمي.

واستثمرت صحيفة «عقيدتي» التي تصدرها دار التحرير برئاسة سمير رجب وهي صحيفة جامدة ورجعية وخادمة للتطرف ومشعلة للإرهاب، تستخدم وتستكتب أفكاراً وأقلاماً من أشد عصور الاسلام والمسلمين ظلمة وعممة وتقود معارك - هل هناك من يدفع حسابها؟ - ضد العقل والدين الاسلامي الذي يناصر

الحرية والمناقشة بل .. والجدل بالتي هي أحسن.

ونشرت أن هناك دعوى قضائية مقامة من الأزهر الشريف
لتفريق د. أبو زيد عن زوجته بحجة أنه مرتد ثم عاد الأزهر ونفى
ذلك تماماً.. لكن سرعان ما برقت الفكرة في ذهن أحدهم..

وأسرع بإقامة الدعوى..

وصارت قضية الردة هي آخر «بدع» التطرف الديني!!

وحيث كنت واحداً من الذين تدافعوا لحضور إحدى جلسات
هذه القضية في محكمة الجيزة.. وبين عشرات الوجوه التي
حضرت والتهتافات التي دوت في ممر ضيق طويل منطلقة من
شبان جاعوا للتكاتف ضد الإرهاب الفكري قبل الإرهاب المسلح.

قررت أن أكتب هذا الفصل..

عن الردة..

وعن أن: «نصر حامد أبو زيد مسلم وموحد بإله ولا إكراه
في الدين رغم أنف عبد الصبور شاهين».

وهذه حكاية أنفه!!

٥ - زواج المتعة.. أعود إلى القراء (وهم أكثر وأسئلتهم أكثر
والحمد لله) لقد سألني أحدهم هل تتبع منهج د. فرج فودة؟
والحقيقة أنني لا أعلم ماذا يقصد بمنهج دكتور فرج فودة؟

لقد أجبت عليه (وما أنذا أعيد الإجابة) أن لكل منا أفكاره وأراءه ومنهجه، وانتي أحترم د. فرج فودة - يرحمه الله - ودافعت - وسأدافع يوماً - عن حقه وحريته في الكتابة والاختلاف والمعارضة والمواجهة لأفكار التطرف أو حتى لأي أفكار، فهذا ما يمليه عليّ منهجي، وهو منهج اسلامي بحث، أن اختلاف الفقهاء رحمة.

وقد جنّث لأؤكد رحمة الله بنا وبالناس وبالفقهاء فكتبت واختلفت (..)

أنا كاتب معارض للإرهابيين والسلطة معاً.

وكاتب مهموم جداً بقضايا ديني ووطني.

وانتصر للعقل تماماً وأعتقد أن أعظم قاعدة فقهية في التاريخ الاسلامي هي «صريح المعقول مع صحيح المنقول».

وهكذا أحاول يوماً أن أفكر فيما هو معقول وأقارنه بما هو منقول... ثم أقول.

هل هذا هو منهج أحد آخر، د. فرج أو غيره لا أعرف.

والله لا أعرف.

لكنه المنهج الذي أتبعه.

وعلى هذا الطريق بالضبط سرت في فصل زواج المتعة الذي

تعرض لكتاب يحمل نفس العنوان للدكتور فرج فودة يرحمه الله..
ألف رحمة.. ونور.

٦ - كلام آخر عن سلمان رشدي (...) إنه الاسم الذي يصيب
كثيرين «بالأرتيكاريا» ويسببه ويلعنه على الأقل نصف سكان
الأرض المسلمين.. ومع ذلك فإن هذا الفصل ليس أكثر من
سلام آخر ومختلف عن سلمان رشدي.. وقد قصدت به أن
أؤكد على أكثر من معنى.

الأول.. من الواجب على أي مسلم عادل ألا ينساق وراء الفوغائية
والقطيعية.. وعليه دوماً أن يفكر ثم يتفكر.. يسأل ثم
يتساءل.. ثم يقرر.

الثاني.. أن الحقائق دائماً مخفية ومشوهة وتائهة وأن أحداً لا
يمكنه أن يحصل على الحقيقة الكاملة إلا بالتروي والتأني
والتمعن والتفسير والتأويل وأن ليس كل ما يقدم لنا
حقيقي لنصدق ونجري وراءه ونلهث خلفه.

الثالث.. أنه ليس أسوأ من استخدام الدين في سيطرة الدنيا
وسمسة السياسة... ليس أسوأ كما أنه ليس أكثر.

٧ - قتل الفنانين.. وهذا الفصل الذي يروي دقائق وتفاصيل
أبشع جريمة ثرتكب بأسم الدين ضد الفن. إنه فصل يشرح
ويحلل عملية «نصب» كاملة تمثل - دون معاناة في التحليل

والاستنتاج والاستنباط -

أ - الحرب التي تخوضها السعودية وشركاها ضد الفن المصري.

ب - العزف على أوتار الجماهير البسيطة الساذجة المهيئة لتصديق أمور تافهة وخطيرة - في الآن معاً - دون أي تفكير...

ج - التجارة باسم الدين.

وعند هذا الفصل أرى جروحاً نازفة في العقل المصري الذي ترك نفسه ليستسلم لكل هذه الأفكار السقيمة المريضة الهشة التي تتستر بالدين ثم يصدقها آلاف - وملايين - البسطاء السذج. كيف؟ ولماذا؟ وإلى متى؟

أتمنى أن يجيب القاريء على هذه الأسئلة حين يصل إلى نهاية هذا الفصل.. ثم نهاية هذا الكتاب.

٨ - ساندرا.. الاعتراف بأن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في مصر قد تغيرت وتبدلت وتشوهت وتلوثت.. هذا الاعتراف هو الحل الأول لإنقاذ مصر من مشكلة طائفية حقيقية.

أما إصرار البعض على أن مصر بلد التسامح وأن الشعب المصري طول عمره طيب ومسال� ويحب شقيقه المسيحي وهذه القصص - الجميلة فعلاً والحقيقية تماماً - عن المشاركة والتوحد

بين المسلمين والمسيحيين في مصر.. لم تعد تجدي.

لقد تبدلت وتشوهت العلاقة.. هذه النتيجة ليست قاطعة وحاسمة، فمن حق القارئ أن يختلف معي أو يخالفني، ومن حق البعض أن يتهمني بالمبالغة، لكن لدي من المظاهر عشرات ومن الوقائع مئات لأثبت أن العلاقة قد تغيرت، ليست فقط هذه الجماهيرية الكاسحة والضخمة لشيوخ جعلوا من التفرقة بين المسلمين والمسيحيين شرط نجاحهم وجسر جماهيريتهم وعلى رأسهم عبد الحميد كشك وعمر عبد الكافي والشعراوي وليست في حوادث الفتنة الطائفية التي تخرج لنا كل فترة، وليست في حوادث القتل الجماعي للمسيحيين في الصعيد (مع احترامي لكافة الأسباب الأخرى التي يقولها المتعاطفون مع المتطرفين!) وليست في هذا الانتشار المدي لشرائط الكاسيت التي تتضمن رفضاً للمسيحيين وتحمل عناوين مثل «كنت نصرانيا» «حوار مع نصراني» وليست كذلك في الجماهيرية الضخمة لأحمد ديدات هذا الرجل القادم من أمريكا بمناظرته التليفزيونية مع القساوسة، وليست كل مظاهر الحياة اليومية التي تشرخت فيها العلاقة بين المسلم والمسيحي.

ليست هذه أسبابي أو شواهدتي..

بل سببي الرئيسي هو أنني أكتب الآن هذا الكلام، نعم - حتى لو كنت مبالغاً - فإن احساس كاتب مصري واحد بأن العلاقة قد

تهدمت - أو في سبيلها - داخل المجتمع بين المسلمين والمسيحيين، بل للجؤنا لاستخدام تعبيرى مسلم ومسيحي فى الكلام من المصريين.. كل هذا دليل على أن شيئاً ما قد تبدل.

لقد صارت فعلاً جماعة ضخمة من المسلمين المصريين على قناعة أن المسيحيين كفرة (١١). آه والله كفرة ابن الكذب وهناك جماعة أخرى من المسيحيين المصريين يرون أنهم فقدوا مبرر وجودهم فى مصر بعدما جرى.

اننى أكاد أخرج أجري فى الشوارع كبلهاء حي السيدة زينب لأحذر من أن النار قد اشتعلت فى مصر بين المسلمين والمسيحيين.. نار مكتومة مكبوتة فى الغالب لكنها قائمة على التفرقة بينهما وعلى العنصرية المتبادلة.. والحقيقة أننى أحمل المتطرفين ثم المسلمين مسئولية ما حدث ثم أحمل فى نهاية الأمر وبشكل ثانوي المسيحيين هذه المسئولية.

لأن المسلمين هم الأغلبية، لا يصح - كما لا يجب أبداً - أن نرى الخطر قادم من الأغلبية بينما نجري بالعصا لنؤدب الأقلية.. نعم، يتحمل المسلمون هذه المسئولية، ليس فقط لأنهم الأغلبية بل أيضاً لإستسلامهم لكل الأسباب التى تمت واكتملت خلال عشرين عاماً لتؤدي الى كل هذه النتائج التى تمت واكتملت الآن أمام أعيننا. مثلاً..

أ - المد الضخم والسرطاني للتيار المتطرف في الجامعات والذي بدأ فوراً الفصل بين المسلمين والمسيحيين شرطاً لاثبات وجوده وإستعراض قوته وإلقاء اللوم على الآخرين وإحكام نظرية المؤامرة الكونية ضد الإسلام والمسلمين سبيلاً للحشد والتعبئة.

ب - المدارس الاسلامية الخاصة، لقد عرفت مصر منذ الأبد مدارس الراهبات والمدارس المسيحية، لكنها كانت تستوعب داخلها المسلمين والمسيحيين معاً، وهناك الآلاف وربما الملايين الذين تخرجوا من هذه المدارس دون ان يحملوا كارثة الفتنة والتفرقة بل كان هناك حرص شديد من عائلات شتى على إرسال أبنائهم المسلمين وخاصة البنات الى مدارس الراهبات لهذه الصرامة في التربية الأخلاقية التي يلتزمونها الراهبات في التدريس، لكن المدارس الإسلامية الجديدة (وهي تتكاثر وتتزايد) بدأت أولاً برفض الآخر، ثم حوالت تربية الاطفال الى الفصل منذ أول لحظة بين المسلمين والمسيحيين ثم في مرحلة لاحقة أصبح على نفس المستوى وينفس الحماس، الأم غير المحجبة كافرة والجار المسيحي كافر.. وهكذا نشأت أجيال تصل الآن الى العشرين من عمرها تقريباً على هذه الأفكار.

ج - الاستيلاء شبه الكامل على مهنة التدريس، ان ١٦ من قادة

مأعرف بالجماعة الإسلامية في الصعيد كانوا مدرسين..
ومدرسين في المرحلة الابتدائية... كفاية.

د - نجومية شيوخ الفتنة وعلى رأسهم الشعراوي وعبد الكافي
وتحولهم الى شخصيات من القداسة والأسطورية التي
لايستطيع أحد أن يناقشها أو يجادلها أو يختلف معها..
ولجرد الملاحظة العابرة فان معظم جمهور عمر عبد الكافي
من النساء.. ثم الأطفال.. وهكذا (..)

هـ - (وهو أمر يستحق الأولوية الاولى في هذه الأسباب) ظاهرة
الهجرة الى النفط، وقد تمكنت السعودية من «غرز» أفكارها
العنصرية تجاه المسيحيين وتصديرها الى مصر عبر الملايين
الذين سافروا وأقاموا هناك لفترة.. وإذا كان البحث
الاجتماعي والعلمي في مصر ليس في غفوته الحالية لتمكنا
من العثور على عينات نموذجية تؤكد أن هذه العنصرية قد
سيطرت على منافذ شعور المواطن المصري العائد من
سنوات الهجرة الى النفط.. وأحسب أن ملاحظات كثيرة
نسمعها من هؤلاء العائدين تدل دلالة مباشرة على مكن
خطورة الأمر حين يفتخر بعضهم بأنه لا توجد في السعودية
أي كنيسة.. (وكأنه مبعث فخر ألا توجد في السعودية
كنائس بينما توجد القواعد العسكرية الأمريكية وشركات
البترول متعددة الجنسيات) إلى هذا الحد من البلاء

والحمق تقاد عقول المصريين.

و - هناك حملة منظمة ممولة لشرائط الكاسيت التي تقذّي فكرة التفرقة بين المسلمين والمسيحيين، قادمة من الخليج والسعودية (إبحث عن شرائط أحمد القطان وعبد الله الطحان) ومن القاهرة (إبحث عن أي شرائط) وليس خافياً أن هذه الشرائط هي الأكثر مبيعاً.

ز - في حالة الإحباط القومي والوطني التي يعيشها المصريون فإنهم يبحثون عن أي «ضحية» أو أي «متنفس» لإلقاء اللوم والذنب عليه، وكما تنسحق المرأة بإعتبارها كائنات مهيناً للقمع والقهر في وطننا، فإن المسيحي كذلك يصبح من منطق أنه «آخر» و«مختلف» و«أقلية» محملاً لكل إحباطات وعدوانية الآخرين.

ح - يجب أن نؤكد أن كثيراً من قطاعات وشرائح الشعب المصري قد تربت على «نفي الآخر» و«فكرة الحزب الواحد والتنظيم الواحد والفكر الواحد والرأي الواحد والدين الواحد» رغم أن الدين الإسلامي أكد بعشرات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة على إحترام الآخر وحقوق المختلفين في الدين، وقد أدى هذا إلى ما أدى إليه. أما ساندرا.. فهي هذه المخرجة المصرية المشابهة (التي أظن أنها ستكون ملء السمع والبصر خلال سنوات.. أظن..

وأتمنى) وقد أعطت بفيلمها القصير (الذي لم يأخذ حظاً من الانتشار الجماهيري) درساً في كيف يمكن للفن أن يعالج كوارثنا ومشاكلنا وأمراضنا بكل حب ورومانسية وصدق.. وبكل نجاح.

وربما هذا ما يعطي لما فعله أنيس عبد المعطي (وكل الفنانات المعتزلات وشيوخ التطرف) مبرراً ودافعا لهجومهم الشامل الكامل على الفن ومحاولة تحريمه وتجريمه وتلطيخه بالعار!!
''م يفعلون ذلك لأهمية الفن..

وضروته..

وخطورته..

وعظمته..

وإسألوا ساندرا نشأت..

٩ - رحلة العقل... إنها الرحلة الأولى في حياتي الى أوروبا.. لقد زرت ألمانيا - بعد وحدتها - لمدة أسبوعين... وعدت بهذه الأفكار والآراء التي يأتي بها هذا الجزء من الكتاب.

والحقيقة أن علاقتنا بالغرب علاقة شائكة وغريبة تحكمها عدة أمراض وعشرات الأوهام.. لكنني لا أميل الى الاعتقاد الخاص بإضطهادنا من الغرب.. بل أرى:

أ - الغرب ليس كتلة واحدة.. ولا بد من التمييز بوضوح بين الحكومات والأنظمة من جهة.. والشعوب من جهة أخرى.. بين

المتعصبين الفوغائيين من ناحية والمستنيرين المثقفين الحضاريين من ناحية أخرى.. أوروبا غير أمريكا.. وأوروبا ليست واحدة تماماً، وأمريكا ليست كتلة مصمتة جامدة صلبة.. بل إنه عالم متداخل ومتشابك وحر كذلك ومن ثم ليس هناك أكثر من الاختلاف، وبعض هذا الاختلاف علينا..

ب - إنه إذا كان الغرب ضدنا.. فالحقيقة أننا ضده أيضاً، بمعنى أن سوء النية والنوايا متبادل وأنه إذا كانت صورة العرب لدى الغرب متخلفة ورجعية وبدائية (وبعضها صحيح) فإن صورة الغرب عندنا منحلة مكشكة إباحية (وبعضها صحيح).

ج - أننا إذا كنا قد خدمنا البشرية بحضارتنا الإسلامية العربية في قديم الزمن، فلا يمكن الإنكار أبداً - إلا لجاهل أو لجنون - أن الغرب خدم البشرية بحضارته الآن.

الحقيقة أننا نعيش في كنف التكنولوجيا الغربية دون مناكفة أو عناد.

وبما أن الغرب هو الذي يصنع - لنا - كل شيء بداية من الأفكار والأسلحة وحتى أمواس الحلاقة فمن الطبيعي (لا أقول أنه صحيح) أن يمارس ضدنا ما يمارسه مدرس الفصل مع طلبته (..)

د - إن مقومات تقدم الغرب، ليست في يدنا الآن، المقومات ليست التكنولوجيا أو العلوم، ولكنها قبل ذلك بكثير جداً، وهي

احترام هذه العلوم وتقدير العلم والسعي إليه والبحث عن التكنولوجيا.

إن قوة الغرب وتقدمه لا تعود لعصور من الاستعمار (من المؤكد أنه استفاد من هذه العصور) لكن لا داعي أن ننسى أننا أيضاً استعمرنا (بصورة أو بأخرى من وجهة نظر الغرب) دولا وأممًا.. واستفدنا من الاستعمار (على أي وجه كان الاستعمار).

هل يمكن الزعم أن تقدم الحضارة الإسلامية في القرون الأولى .. سلام، كان بعيداً عن التقائها (عبر غزوها ودخولها) الحضارة الفارسية والرومية.. والغربية في أسبانيا.

إذا كانت الامبراطورية الانجليزية والفرنسية قد احتلت العالم وسيطرت عليه.. فإن الامبراطورية والعباسية ثم العثمانية سيطرت على واحتلته فمن الذي يحصد الآن الحضارة؟

سأحاول أن أكون مختصراً - ومهذباً - بأقصى ما يمكنني وأقول أن أسس التقدم والحضارة شيئان فقط - العلم ثم الديمقراطية.

وقبل ذلك السعي لهما.. واحترامهما.

ولأن العلم لم يكن في خدمة العلم، ولأن الديمقراطية لم تكن موجودة أساساً وأبدأ.. كانت وهماً.

فإن ما حصل قد حصل.

١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ حرق الدم السياسي.. إنها قضايا سياسية وشخص زعامات سياسية طويلة القامة بالقوة أو بالفعل. كتبت عن كلينتون الرئيس الأمريكي بمجرد صعوده الى مقعد حكم بلاده، وكنت طيلة فترة الانتخابات أؤيده وأحبه - مع علمي الكامل بأن شيئاً لا يتغير إطلاقاً في السياسة الأمريكية خصوصاً تجاه العرب - لكنني كنت قد كرهت - شأن الكثيرين - جورج بوش بعد تدمير العراق (..) [بالمناسبة أكره صدام حسين بنفس القدر فلا أحد أو أنا على الأقل - يحب الديكتاتورية والفاشية -] فضلاً على ذلك فإنني أنتمي الى جيل شاب يسمح له شبابه وظرفه التاريخي ووجوده في مجتمع العالم العربي الذي يتربع فيه الحكام والرؤساء والملوك عشرات السنين فوق مقاعد الحكم ورؤوس وأعناق الشعب يسمح له ذلك بأن يطمح - ويطمع - دائماً الى التغيير وحتى ولو في أمريكا وإعطاء زعماء العالم الثالث دروساً (مهما كان غباؤهم وبطء فهمهم) في حكمة الديمقراطية وعظمة التغيير.. وهو بالمناسبة أبعد شيء عن العالم العربي وأعصى حلم على التحقيق (..)

ثم الفصل التالي في هذا الجزء عن يلتسين ومأساة قتله للديمقراطية في بلاده، وإذا سئلت الآن عن رأيي في التجربة السوفيتية كلها قبل التفكك، فإنني أرى أنها كان لابد لها من التفكك، وأن الجريمة البشعة في حق الشعوب هي انتزاع حقها

في حرية القول والفعل.. إن الديمقراطية (بمفهومها الواضح المباشر) وهو حرية القول والنشر وحق التغيير وتدوير "سلطة" هي صمام أمن بقاء الأمم والحضارات.. فيما عدا ذلك فلا بد أن يظهر يلتسين.

ويلتسين نموذج سافر وسافل في التسلق السياسي وكيف أنه كان رجلاً لا يحمل ذرة إيمان بالاشتراكية ولا ولاء للحزب الشيوعي ومع ذلك كان أحد قياداته إن هذا الواقع القاهر القامع هو المجتمع الوحيد الذي يسمح بظهور ولعان القيادات الانتهازية العميلة.. التي كان يلتسين واحداً من أبرز رموزها.

ثم يلي ذلك فصلان عن جمال عبدالناصر والناصريين ثم عن لبنان..

وكلاهما مرثية للأحلام.. و«عديد» في انهيار الأوطان.

وما الأوطان إلا الأحلام!!

ابراهيم عيسى

قويسنا - القاهرة

١٩٩٣/١١/١٤

أولاً : الشيوخ

١ - الشعراوي

٢ - جاد الحق

٣ - الغزالي

٤ - شاهين

أولاً

الشعر اوي وتا'ليه الملك!

الشعراوى

والله العظيم كنا سنسكت
على قصيدة الشيخ
الشعراوى التي نشرها - بكل
فخر - مؤخراً ووصف فيها

أحد الملوك بأنه ظل الله في الأرض..

كنا سنسكت

لولا أن خرج علينا علماء نحبيهم ونقدتهم يدافعون عنه وعن
مديحه وعن وصفه. ظل الله في الأرض. بل ويذهبون نظرية
فقهاء في أن السلطان - أي سلطان - ظل الله في الأرض.

كنا سنسكت

لكن قدر الله.. وما شاء فعل.

أن يكتب الشيخ الشعراوى قصيدة

فهذا أمر ليس جديداً لا عليه ولا علينا

أن يكتب الشيخ الشعراوي قصيدة مدح فهذا أمر ليس جديداً
لا عليه ولا علينا ولا على أي أحد.

لقد كتب الشيخ الشعراوي منذ فترة طويلة قصيدة مطولة
عصماء في مدح «الملك فاروق المعظم». نشرها الرجل وافتخر بها
واعتز بأمورها، ثم أعيد نشرها في أكثر من مجلة ومطبوعة»،
وخاصة في فترة اللمعان الأول للشيخ الشعراوي في منتصف
السبعينيات حيث لم يعد مدح الملك فاروق ساعتها شائناً أو
خائناً، وكثر الكلام طيلة هذه السنوات عن ملكة الشيخ الشعراوي
الشعرية.

قال في مطلع القصيدة - على سبيل المثال وليس على سبيل
الحصر -

فإذا الطلعة السنية لاحت

وتجلى الفاروق بحبل موطن

كبر الحشد والأكف تلاقت

بين من ردد العتاف وزغرد

لقد كانت القصيدة مدحاً واضحاً، بكل ما فيه من تقليدية،
للملك فاروق، وربما صغر سن الشعراوي وقتها، حيث كان يبلغ
من العمر ٤٠ عاماً، لم تسمح له بمعرفة أو إدراك أن الملك فاروق

كان ملكاً منحلاً فاسداً. باع وطنه كما باع أشياء كثيرة.

لكن عندما يمدحه الرجل، فإن انسياقه في سرود «طلعتة السنية» - أرجوكم تذكروا أن الملك فاروق حاول أيامها نسبة نفسه وأصوله إلى سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم»..

وانسياقه في سرود جماهيرية الملك فاروق وحب النفس له لم تمنعه بمجرد ظهور «الحركة المباركة» و«ثورة يوليو المجيدة» أن يسرع بقصيدة عنها - مرة أخرى مدح عصماء - ومرة أخرى بنفس الحماس الذي تحول من الملك إلى الثورة.

أحييها ثورة كالتار عارمة

ومصر بين محبوب ومرتب

شقت توزع بالقسطاس جذوتها

الشعب للنور والطفان للهب

أي والله.. هذا ما كتبه الشعراوي، ومن الواضح أن القصيدة كانت ثورية نارية لا يقدر على كتابتها سوى شاعر ثوري وربما رئيس التنظيم الطبيعي أو عضو بارز في الاتحاد الاشتراكي.

لكن القصائد عند الشعراوي تتغير مثلما تتغير العماثم.. فالرجال وبعد سنوات كانت كافية ليجد في نفسه القدرة على التمرد على مدحه وقصائده في الثورة وصلى ركعتين لله فرحاً بهزيمة مصر في ١٩٦٧، ولم يراع الرجل التاريخ لحظة واحدة

حين اعترف بذلك على شاشة التلفزيون بينما كانت مقالاته في رثاء جمال عبدالناصر مازالت لم ياكلها السوس ولم تقرضها القتران.

وحتى الآن لا أفهم كيف لا يراجع الشيخ الشعراوي انقصاماته أو تناقضات مواقفه الحادة وتصريحاته الملتبسة. فأنا لا أعرف مثلاً كيف كان الرجل قد صلى لله شكراً لهزيمة عبدالناصر ثم بعد وفاته يكتب عنه مقالات يصفه بأنه الملهم الثائر العظيم.

على العموم هو نفسه الشيخ الشعراوي الذي وقف على منصة مجلس الشعب أيام كان وزيراً للأوقاف ليهاجم معارضي الرئيس أنور السادات ويشتمت قولهم ويفند مزاعمهم فإذا بالحماس - نفس الحماس تقريباً - يأكله ويصرخ فيهم بالآية الكريمة {لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون} ليصف السادات هكذا في لحظة قدرية نادرة بأنه شخص فوق السؤال.. وأنه منزّه بما يفعل عن «غوغاء» المعارضة الذين يُسألون طبعاً عن فصلهم وأصلهم وأموالهم ومواقفهم وأسماء أمهاتهم في شهادة الميلاد.

لهذا كله لم نكن نريد أن نناقش الشعراوي عن قصيدته في مدح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وذلك لأننا ندرك أن قصائد الشيخ الشعراوي لقرط كثرتها وكثرة ممدوحها بداية من الملك فاروق قد فقدت أهميتها.

ثم كنا نربأ بالشيوخ وهو العالم اللغوي الكبير أن يذكرنا
بالشعراء العرب القدامى الذين إذا زاروا ملكاً أو أميراً أقاموا
عنده حيناً من الدهر وأجزل لهم العطاء وثقلت في أيديهم صرر
المال، سارعوا بنظم القصائد في مدح ملوكهم والفارق هنا فادح
وهو فارق في مصالح الشعراء العرب القدامى، فأين شعر
الشعراوي مما قاله وتحدث به ونظمه الفرزدق والبحتري والمتنبي
وهم أيضاً الذين كانوا يعودون فوراً إلى هجاء نفس الملوك إذا ما
خفت صرر نقودهم أو ثقلت صرر ملوك منافسين (١).

ورغم أن القصيدة حافلة بكارثتين دينيتين «فضلاً عن الكوارث
الشعرية» إلا أننا سكتنا. ثم فوجئنا بفريق من العلماء، ربما
دفعهم حب الشيخ الشعراوي أو حب الملك فهد، أو الانتصار إلى
قصائد ينظمها الشيوخ.. فتباروا للدفاع عن قصيدة الشعراوي،
وخاصة ما قاله في وصف الملك فهد:

فماذا قال:

«يا ابن عبدالعزيز، يافهد شكراً

دمت للدين والعروبة فخراً

أنت ظل الله في الأرض

تحيا بك البلاد أمنا ويسراً.

وتذكرني هذه القصيدة بعشرات غيرها ترددت في المهرجانات

والمحافل في مدح الرئيس العراقي صدام حسين حيث رفعتة الى مصاف الآلهة «والعيان بالله» وكانت من شعراء مصريين أيضاً عائدين من العراق أيضاً.

هذا هو الشق السياسي الحساس في قصيدة الشعراوي ولأنه شق سياسي وحساس فنخرس وإن نفتح له سيرة.

لكن الشق الديني هو ما يهمنا وخاصة بعد فتاوي الشيوخ بصدقه..

إن الشعراوي في لحظة بصر يقول إن الملك «ظل الله في الأرض» وإذا لم تكن هذه كارثة فإن الكارثة الحقيقية أن العلماء قالوا أي نعم ظل الله في الأرض.

بل وصل الأمر بهم الى ذكر حديث نبوي شريف، عن أبي هريرة - رضي الله عنه قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السلطان ظل الله في الأرض يأوى إليه الضعيف وبه ينتصر المظلوم ومن أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة».

وبالطبع فإن ذكر هذا الحديث يدفعك الى الصمت التام، فأين أنت من حديث نبوي، لكن - والله نحتسب - لن نطلب من أساتذة الحديث سوى ما طلبه الشعراوي في نفس صفحة جريدة الأخبار التي قادت حملة الدفاع عنه «٩٢/٨/١٢» حين قال «وعلى العلماء أن يبينوا درجة هذا الحديث بوراناً على السنة العلماء».

الله أكبر الله أكبر فقد تسائل الشعراوي نفسه عن صحة الحديث، فحديث بهذا المعنى وتلك الخطورة لابد لنا من التوقف عنده والتشكك فيه فهو يعطي فرصة نادرة وعظيمة للمتطرفين - لا سبيل لإنكارها - في أن يصمموا كل هؤلاء العلماء بأنهم علماء السلطة، ويصبح من حقهم ساعتها أن يتهموا وينتقدوا بل ويلعنوا حسبما يرون فيهاهم شيوخنا يؤلهون السلاطين «ولا أعرف موقفهم من رؤساء الجمهوريات وهل ينطبق عليهم هذا الحديث؟» إن تعبير ظل الله في الأرض، ورد في أسوأ موضع له في التاريخ، حين كان أبو جعفر المنصور السلطان العباسي الشهير بالسفاح، يزعم أنه ظل الله في الأرض، أما هذا «الظل» أبو جعفر فقد ذبح وسفك دم الآلاف (..)

ثم ظهر التعبير نفسه في القرون الوسطى الأوروبية في أبشع «تنفيذ» له في التاريخ.

أما إذا كان الأمر أمر استشهاد بالأحاديث فإن التيار الديني الساخط على السلطة الرافض لها، لن يعدم عشرات الأحاديث النبوية التي تحض على الثورة ضد السلاطين والملوك فضلاً عن الآية القرآنية الجلييلة في سورة النمل آية ٣٤ {إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون} صدق الله العظيم.

وكذلك يفعلون

أما بقية قصيدة الشيخ فإنها تحمل خطراً آخر حين يقول:

انت زدت المقدسات شموخاً

تتحدى عجائب الأرض طراً

ولا أعرف هل لو تجرأ شاعر وقال هذا التعبير. هل كانت

أفواه وفتاوي نفس الشيوخ والعلماء سترحمه!!

حين يقول زدت المقدسات شموخاً..

هـ * ! الله لن يزيد شخص مقدسات الله شموخاً، فهي

ياشيخنا الطيب المتحمس شامخة مقدسة ليست في حاجة لملك ولا

خادم ولا لك، ولا لنا.

شيخ الأثر

بين جمال عبد الناصر وجيلها الساعات

جاد الحق

منذ سنوات لامست عباءة
الشيخ جاد الحق علي جاد
الحق مقعد مشيخة الأزهر
ليصبح الرقم ٤٢ في سجل

طويل للذين صعدوا - وصعدوا - في هذا المقعد، ٣١٣ سنة هي
عمر المنصب الذي بدأ على يد شيخ من شبراخيت تجاوز
التسعين من عمره ومات في نفس العام الذي ظهر فيه منصب
شيخ الأزهر.

مات الشيخ محمد عبدالله الخراشي تاركاً بعض المؤلفات
ونبذات مقتضبة عن حياته وأهم مقعد يجلس عليه شيخ والشيوخ
كثيرون.

ما حال شيخ الأزهر الآن؟

لا أقصد صحة وعافية الشيخ جاد الحق، وهي بخير لكنني

أقصد صحة وعافية هذا المكان العلمي الديني الذي يحتل في
قلوب المسلمين تاريخاً من الإحترام والتبجيل.

هل الأمر قاصر على التاريخ فقط؟

سنرى..

ولد شيخ الأزهر الحالي في قرية «بطرة» مركز طلخا بمحافظة
الدقهلية سنة ١٩١٧ وهو بذلك ثاني شيخ أزهر من الدقهلية (أكثر
المحافظات التي أنجبت وأفرزت شيوخ أزهر هي الشرقية
والبحيرة).

نفس الباب الذي دخل إليه الشيخ الغزالي ومر نحوه الشيخ
الشعراوي.. دلف إليه الشيخ جاد الحق.

باب المعهد الأحمدى بطنطا العاصمة الصغيرة لدلتا مصر
الطيبة والفقيرة والفلاحة.. كان حافلاً بالقادمين من القرى
الصغيرة البعيدة والمجاورة سعياً وراء علم ومكانة.

وقد كان هذا المعهد لتدريس المذهب الحنفي بإعتباره المذهب
الرسمي في مدارس مصر وتعليمها وقضاائها. وربما هذا ما حفز
جاد الحق الى الإلتحاق بكلية الشريعة، ووقتها كان منصب
القاضي الشرعي حليماً لكثير من القرويين الزاحفين في طريق
العلم والخروج من حصار الريف فقره وجهله ومرضه الى عالم
مختلف يتميز فيه دارسو الأزهر ومدرسوه وقضاة الشريعة.

وفي سن السادسة والعشرين تمكن جاد الحق علي جاد الحق من وضع اسمه ضمن خريجي هذه الكلية حين كانت نتيجة الحائط في مصر تعلن أننا في عام ١٩٤٣ ولا شك أن أسمع مصر كلها وقتها قد التقطت حكايات ومواقف وزعامة شيخ الأزهر الجليل «مصطفى المراغي» الذي كان واحدا من أهم الذين أعطوا لهذا المنصب مكانته وكبرياءه.

كانت جماهيرية الشيخ المراغي مستمدة من قدراته العلمية ومواقفه الوطنية الشريفة والنبيلة وهو ما يعطي (مرة أخرى) للمنصب قيمته ومكانته.

لقد وقف الشيخ المراغي بعنقه الذي تظهر عليه علامات الحرق والتشوه التي أصيب بها حينما ألقى البعض عليه «ماء النار» في واقعة غير مسبوقة في تاريخ الشيوخ.. فقد رفض الشيخ المراغي رشوة عرضت عليه لتغيير حكمه في إحدى القضايا فما كان من المجرمين سوى إلقاء ماء النار عليه.

وقف صاحب هذا العنق أمام الملك فاروق يواجه إغراء الملك وبطشه ورغبته في طلاق زوجته فريدة على أن يصدر الشيخ المراغي فتوى بعدم جواز زواجها بعده فقال له المراغي - يرحم الله شيخ الأزهر - «أما الطلاق فلا أرضاه وأما التحريم فلا أملكه».

وهو نفسه المراغي الذي نادى بفتح باب الاجتهاد وتوحيد

المذاهب وصرخ في وجه رئيس الوزراء حينما إحتد عليه لرفض
المراغي دخول مصر الحرب العالمية اثنائية.. صرخ مي حبه.

- اتهددني وأنا شيخ الأزهر، إن شيخ الأزهر أقوى بنفوذه من
رئيس الوزراء ولو شئت لارتقيت المنبر وأثرت عليك الجماهير حتى
تجد نفسك معزولاً عن الشعب.

• • •

كان يسمع جاد الحق كل هذا.. كما كانت مصر كلها تراه
وتسمعه.. وبينما توالى الأحداث والحوادث كان الرجل يحصل
على إجازة القضاء الشرعي عام ١٩٤٥ - نفس عام وفاة الشيخ
المراغي - ثم يعين موظفاً بالمحاكم الشرعية.

لم يكن منصب شيخ الأزهر حكراً على أساتذة وشيوخ جامع
الأزهر وعلمائه، بل كان مفتوحاً أمام الجميع.. ومن الجميع هذا
كان الملك ثم رئيس الجمهورية (فيما بعد) يختار ويعين شيخ
الأزهر.

وقبل تولي الشيخ جاد الحق هذا المنصب بسنوات كانت واقعة
خطيرة وفتنة فقهية تطيح بالساحة كلها.

• • •

كان الشيخ عبدالرحمن بيسار وزيراً للأوقاف والشيخ جاد

الحق مفتياً للديار المصرية، وكان الشيخ عبدالمنعم النمر أستاذاً
بالأزهر.

ما الذي جمع الثلاثة؟

إنه قانون جيهان؟

وقانون جيهان هو قانون الأحوال الشخصية الذي أعده وأفتى
به وقن له الشيوخ الثلاثة، وهو ما أثار عليهم طوب الأرض...
وعاء الأرض أيضاً الذين فتحوا أبواباً لا تنفلق من الرفض
والذم... انطعن في القانون ومخالفته للشريعة الإسلامية، إلى
الحد الذي صدرت فتاوى واضحة من بعض المتطرفين في
الدين... والعنف، بتكفير الشيوخ الثلاثة الذي أصدرها هذا
القانون لمخالفته الشرع والإسلام.

وكان وجود جيهان السادات كفيلاً لأن يذهب هذا كله أدراج
الرياح ويحيي الناس القانون وتلتزم الصحف بالدفاع عنه ويلج
الشيوخ على البرلمان الشرعي لكل بنوده...

وفي الأية التالية جرت في النهر مياه وأحجار خيرة...
الشيخ بيصار شيخاً للأزهر..

والشيخ جاد الحق وزيراً للأوقاف..

وحين مات السادات

ألغي قانون جيهان

وحين مات بيصار

جاء جاد الحق

• • •

مرت سنوات.

تغيرت فيها مصر كثيراً.. تبدلت بعض الشوارع وتعدلت بعض المفاهيم، وانقلبت بعض الأمور، و«اتعكت» بعض الأحوال..

لكن يبقى أن السنوات الأخيرة كانت مملوءة بحوادث وجرائم التطرف الديني، تحولت من فتاوى التحريم والتجريم الى سلسلة من العنف المتواصل الدامي التي تبدأ حلقاتها بالإغتيال وتتواصل بالقتل الجماعي وتنتهي بالإعتداء والحرق وغيره.

سنوات طويلة من التطرف يزداد ويتصاعد وسط غياب التأثير الأزهري كلية.

سنوات تتمدد فيها شهرة الشعراوي وتتسع رقعتها وتدخل الى حد غريب من شبهة القداسة، وترتفع فيها أسهم عقلانية الشيخ محمد الغزالي ويخوض حروباً صغيرة ولكنها هامة مع الفقه الببوي الصنحراوي!!

وتظهر نجومية جديدة للشيخ ياسين رشدي الذي احتلت فتاواه وشروحه ودروسه الاسكندرية ثم امتدت الى مصر كلها

وتوسعت كتبه وازدادت شهرته ودخل بقوة النجومية التلفزيونية
لرجال الدين، نفس النجومية التي يحتلها الشيخ المفضل للنساء
د. عمر عبد الكافي.

وسنوات كثيرة كانت كافية لأن يدخل مفتي الديار المصرية
محمد سيد طنطاوي من معركة الى موقعه، ويخرج من نقرة الى
حفرة.

لكن هذه السنوات كلها لم تفعل شيئاً مع الشيخ جاد الحق
علم جاد الحق.

فالرجل لم يتمتع بجماهيرية الشعراوي ولا ثقل وأهمية
الغزالي ولا نجومية عبد الكافي وياسين رشدي ولا معارك سيد
طنطاوي ولا نية وزير الأوقاف الحسنة وابتسامته الطيبة.

والرجل غير معروف في مصر وغير مؤثر في دولنا الذين
الهم إلا في ظهوره الرسمي بمناسبة الموالد والأعياد، وحضوره
في خطب الرئيس وتوزيعه شهادات التقدير في ليلة القدر (!!).

لم يكن مطلوباً من شيخ الأزهر أن يصبح رمزاً يلتفت
حوله الناس وتدور وراءه الجماعات والفرقاء..

لم يكن مطلوباً منه ذلك لأن أحداً لم يكن ينتظر منه ذلك..

لكن هذا الخفوت لم يكن متوقعاً أيضاً، فالانسحاب من
الأضواء لا يعني - غالباً - الزهد، والبعد عن قضايا الناس

والتأثير في موازين القوة والصراع والتجاذب بين أطراف التيارات الدينية في مصر بعد محسوب على أي أحد وليس محسوباً له إطلاقاً.

شيخ الأزهر - خلال سنوات مشيخته - أصدر عدداً من البيانات سواء «للمطالبة بضبط النفس بين إيران والعراق حيناً» أو «إدانة الغزو العراقي للكويت» (١٠) أو إدانة بعض الحوادث الإسلامية هنا أو هناك.

لكن البيان - أي بيان - لم يحدث الأثر المطلوب والهدف اللازم حين صدوره من قلعة دينية مصرية ومن منبر يقف عليه شيخ الأزهر.

ولقد تحدث شيخ الأزهر في رمضان والأعياد عن التطرف والحج وإنجازات مبارك الإسلامية ونظرية الحكم في الإسلام.. لكن هل هناك أهمية لهذه الأحاديث؟

مجرد أنها لأحد رجال الإسلام ولناسبتها الدينية الطيبة في موسم الحوارات الدينية لا تميز إذن ولا تمايز.

• • •

لكن يظلم الكثيرون شيخ الأزهر.

يظلمونه إذا تحدثوا عن أربعين عاماً صمت فيها حتى يطلق صيحة بأن قانون الإصلاح الزراعي رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢

مخالفاً للشريعة، «وانه قانون يجافي الأصول الإسلامية في أساسه وان غالب أحكامه ومبادئه غير مقبول شرعاً وعليه فإنه قانون باطل».

فالرجل لم يتحدث طيلة ٤٠ سنة عن مخالفة هذا القانون للشريعة.. لأنه أيضاً لم يتحدث عن مخالفة أي قانون آخر للشريعة.

والرجل لم يصدر كتاباً أو بحثاً علمياً أو قانونياً في الإسلام منذ حصوله على العالمية وحتى عشر سنوات تلت من توليه الأزهر، فلم يكن مطلوباً أيامها أن يصدر قاض وخاصة قاض شرعي كتاباً أو بحثاً.

والرجل يدخل الى منصبه ويستمر فيه في فترة صراع حادة ومعركة ملتهبة مع التطرف، وهي أمور تحتاج الى قتال ولهيب فكري آخر ليس موجوداً عند البعض وليس متوفراً عند البعض الثاني وليس مطلوباً عند البعض الثالث.

واذا كان أحد يرى أن خفوت جماهيرية أو نجومية شيخ الأزهر قد تؤثر في دعم نجومية رموز أخرى من فقه البسوف وفقهائهم وأئمتهم.. فهذا ليس دقيقاً تماماً لأن المؤسسة أبقى من رمزها.. لكن من قال إن هذه هي الحقيقة.

فالمشكلة ان الأزهر ومؤسسته في تلك السنوات شهد تطوراً

في نور ومهام أحد تشكيلاته الرسمية وهو مجمع البحوث الإسلامية الذي صار يلجأ الى حملات مصادرة كتب وفكر بحدة وقوة كما ان هناك مشاريع لتعديل قانون الأزهر لأجل تطوير أموره الى ما هو أبعد وإلى ما هو أخطر.

كما ان صراعاً خافياً ومستتراً جري بين مؤسسة الأزهر ودار الإفتاء حول حق الفتيا، وخصوصاً ان هناك ٢٥ لجنة فتوى تابعة للأزهر تنتظر.. وتتصر أحياناً..

مؤسسة الأزهر التاريخية العظيمة تتلقى اتهامات المجاملة والمهادنة مع الحكومة.. بخيرها وشرها.. كما انها تتلقى طعنات من المتطرفين بأنها صوت غير إسلامي بل وتطولها هجمات من جميع الجهات لموقفها إزاء حرية الفكر.. كما انها ذات أخذ ورد حول فتاواها وأدوارها في الحياة السياسية المصرية والعربية والنوعية.

المؤسسة إذن تعاني من هجوم من داخلها ومن بعض أطرافها واتهامات تتجاوز أفكارها الى إدارتها وإنفاقاتها. لكن هل تؤثر الاتهامات على الأفكار؟

• • •

سألوا شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق عن خطورة تكفير المجتمع فقال: إن الفتنة الكبرى وقعت في الخلافة بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) بين معاوية وعلي وتقاتل المسلمون وبينهم

كبار الصحابة ولم يكفر أحدهم أحداً (..).

وسألوه أيضاً عن الديمقراطية فأجاب: إن الذين يتنادون بالديمقراطية وينادون الناس بها لم يجربوا الشورى الواقعية قال الشورى في الإسلام أعلى قدراً وأعظم حكماً من هذه الديمقراطية التي لا معيار لها ولا مقياس.

وسألوه عن البرامج الدينية في التلفزيون فأجاب: يقدم الحديث الديني الإرشادي الذي يعالج خطأ من الأخطاء أو قضية من القضايا الحادة في المجتمع ثم يأتي بعده ما يذهب به وبأثره من مسلسلات أو أغان وغيرها من المواد الترفيهية التي كثيراً ما تطغي على ماسبققتها من أحاديث ثقافية أو إرشادية والأولى أن نسترشد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم «واتبع السيئة الحسنة تمحها».

هذا بعض من كل...

أما كل ما نريده..

ففي سطور تالية قادمة.

• • •

ألف الشيخ الظواهري كتاباً ونشره تحت عنوان «العلم والعلماء».

الكتاب كان هاماً وخطيراً... شعاره وأهدافه وأفكاره وشروحه كلها تسعى إلى إصلاح الأزهر وتدعو إلى أفكار محمد عبده وفلسفته.

ساعتها قام شيخ الأزهر عبدالرحمن الشربيني بأخطر ما يمكن أن يفعله أزهري وأقبح ما يقوم به شيخ.

لقد أمر بحرق الكتاب... وحرقه.

بل وأمر بمصادرته... ومصادره.

وجمع كل نسخة من كل مكان...

وأصدر قراراً بعزل أي شيخ يثبت أن لديه نسخة من هذا الكتاب.

وبعد سنوات.

تولى الشيخ الطواهري - نفسه - منصب مشيخة الأزهر.

فجرى خلقه البعض يناديه بلقب «الإمام الأكبر».

فرد الرجل: كأنه يرشق كلمة في التاريخ «ما أنا إلا واحد من

المشايخ»

واحد من المشايخ!!

تكفير الشيخ الغزالي

الغزالي

لست مضطراً الى اعلان
حبي واحترامي وتقديري
للشيخ محمد الغزالي،
فالرجل ليس في حاجة لي

ولا لحبي، كما أنه في غنى عنهما أيضاً، ورغم أنني أحبه
وأحترمه وأقدره - حقاً - إلا أنه ليس واجباً أبداً تأكيد حسن
النوايا بإبراز حب الحنايا، كما أن خصومة الآراء لا تنفي أبداً
محبة القلوب، وخاصة أننا سنقف يوم القيامة أمام وجه رب كريم
يحاسبنا على ما نقوله، كما يحاسبنا على ما سكتنا عنه. ولذلك لا
نسكت عما قاله شيخنا الجليل في شهادته أمام محكمة أمن
الدولة العليا في قضية مقتل د. فرج فودة في جلسة ٢٢ يونية
١٩٩٣.

مأذاه

إن صفوت عبدالغني المتهم الثاني في هذه القضية والذي كان متهما بقتل د. رفعت المحجوب والذي كان متهما بقتل فرج فودة!! صرح لصحيفة الحياة السعودية (٢٣ يولية ٩٣) عقب نفس الجلسة ومن قفص الاتهام أنه يكفيه شهادة الشيخ الغزالي حتى ولو حكم عليهم بالإعدام، وهي المرة الأولى التي يرضى فيها المتطرفون على الشيخ الغزالي (لازلنا نذكر يوم ثاروا عليه وأداروا ظهورهم إليه في أحد اللقاءات) وهي دلالة خطيرة تضيف الى خطرررر شهادة الغزالي الكثير.

العجيب ان الشيخ الغزالي كان قبل شهر من مقتل فرج فودة وقيل أقل من عامين على شهادته في محاكمة قاتليه كان يجلس على بعد سنتيمترات من فودة في ندوة معرض الكتاب يناقشه ويحاوره ولم يقل له أو.. لنا أنه مرتد كافر يستحق القتل، حتى لم ينصحه (والدين نصيحة) ان يعود للإسلام (هذا اذا كان قد خرج منه)، معنى ذلك ان الرجل كان يتحاور فكراً مع فودة دون إدانة ولا تكفير، هل معنى ذلك أن الشيخ الغزالي كان جالساً الى جوار مرتد وساکت عنه ولم يكشفه ويعلن إتهامه له، مانعرفه - ومتأكدون منه - ان الغزالي شجاع وجريء ولو كانت في نفسه - ساعتها - لقالها!!

لكن ماهو الشيخ الجليل ينتقل الى خانة تكفير الناس وقتلهم بنفس بساطة الجلوس على مقعد أمام المحكمة، ثم إن الشيخ

الغزالي أجاب إجابات فضفاضة غاية في العمومية وهنا خطورة تأويل شهادته وآرائه، مثلاً يسأله المحامي «ماحكم من يجاهر برفض تطبيق الشريعة الإسلامية جحوداً أو استهزاء؟»

وهذا سؤال قاس ليس في حاجة الي إجابة أصلاً، إنه يشبه سؤالاً آخر «ماذا لو وضع أحدهم سكيناً في بطنك وسيفاً في أذنك ورمحاً في عينك، هل أنت ضده أم معه؟»

نفهم أن تكون الأسئلة الخطرة والإجابة الأكثر خطورة حول أشياء واضحة معلومة تفصيلية، لكن الفرع يصل مداه حين يسأله «هل نطق الإنسان بشهادتين والإدعاء بالإسلام مع المجاهرة برفض تطبيق الشريعة الإسلامية، والدعوة الى استبدال شرع الله بشرائع الطواغيت من البشر.. فهل يجوز؟»

ولكن الشيخ يجيب إجابة عامة جداً:

«يقول تعالى: {ومن الناس من يقول آمناً بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين} إن بعض الناس كان يحلف إنه مؤمن لكنه جبن عن الدفاع عن الإسلام.»

لكن يامولانا من الموكل له بمعرفة المؤمن من غير المؤمن، ليس هو الله، فنحن البشر لسنا مطالبين بالتفتيش في الضمائر وفتح القلوب، إن هذا لله وحده يحاسب به ويجازي عليه يوم القيامة (ولن يظلم الله أحداً.. ولا فرج فودة فتيلاً) لكن إن قال

واحد أن لا إله إلا الله فقد عتق عنقه، ولنا في حادثة أسامة بن زيد عبرة حسنة، حين قتل كافراً نطق الشهادة لما رأى سيف أسامة على عنقه، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أسامة وحاسبه، لأن ما لأسامة هي الشهادة وليس له القلب ولا النية (هلا شققت قلبه؟)

ويسأله الحامي:

- هل يعتبر من يأتي هذه الأعمال والأقوال مفارقاً للجماعة مرتداً عن الإسلام؟

فيجيب:

«نعم مرتد عن الإسلام.»

- ما حكم هذا المرتد شرعاً؟

يجيب

«إن حكمه في الشريعة أن يستتاب والرأي العام لدى الفقهاء أنه يقتل، ولي رأي شخصي تقديري للحاكم أنه بدلاً من أن يقتل، أن يسجن سجنًا مؤبداً.»

إن في الشريعة الاستتابة تسبق القتل، فهل استتاب الشيخ الغزالي أو أصحابه فرج فودة إذا كان ما اتهموه به صحيحاً؟ ثم إن الشيخ الغزالي أفتى بسجن المرتد وهو إجتهد منه.

وأظن أنه سيتعرض لهجوم البعض، وإتهامه بإسقاط حد
الردة!! لما أبداه من إجتهد في هذه النقطة.

وفجأة - نرى الشيخ الغزالي يتحدث بكلام سيد قطب وقبيله
ابن تيمية وأبوالأعلى المودودي والفقهاء المتشدد الذي تم استخدامه
مطية للتكيل بالناس - وليسلمح لنا الشيخ الجليل أن نذكره بأن
الخوارج على «كل» ما ارتكبوا من فظائع وجرائم، «كل» ما كانوا
يطالبون به هو تطبيق الشريعة الإسلامية، وأنهم كفروا علي بن
أبي طالب (وليس فرج فودة!!) لأنه خالفهم في الرأي واتهموه
بأنه لم يحكم بما أنزل الله (!!).

ثم إننا نوافق الشيخ الغزالي كلية وتاماً وبدون قطرة نقاش
واحدة أن القرآن تبيان لكل شيء وأنه لم يترك شيئاً إلا وتحدث
عنه مادام هذا الشيء يتصل بنظام الحياة، ولكن ليسلمح لنا
شيخنا أليس الخلاف الفقهي بين الأئمة الأربعة دليلاً واضحاً على
أن هناك ما نختلف عليه (رغم ذلك) وما نناقشه تحت هذه
القواعد التي وضعها لنا القرآن وأقرها لنا الإسلام، إن كل ما
يحدث في الحياة السياسية مجرد إجتهد لأننا أدرى بشئون
دنيانا.

لقد جاءت الأسئلة تدفع بالإجابات لأن تكون عامة عمومية
واسعة علي أسئلة مبطنه بالشر.. مثلاً:

- ما حكم من يدعو الى استبدال حكم الله بشريعة وضعية تحل

حراماً وتحرم حلالاً؟

أرأيتم كم تهمة في سؤال واحد «استبدال حكم الله... شريعة وضعية، تحل حراماً وتحرم حلالاً» وكأننا سمعنا مثلاً عن قانون مصري يحلل السرقة ويدعو للقتل ويشجع الاغتصاب.

إنه سؤال ليس مقصوداً به أبداً فودة فقط، بل مقصود به الحاكم قبل المفكر، والمفكر قبل المواطن، ونرى - طبعاً - إجابة الغزالي أن من يدعو لذلك ليس مسلماً يقيناً.. قطعاً ليس مسلماً يقيناً يا شيخنا.

لكن هل تحققت يامولانا أن الرجل الذي تعرض للقتل قال هذا ودعا لذلك وأين ومتى وكيف؟

ثم تأتي أهم مناطق إجابة الغزالي أن الذي ينفذ حكم قتل المرتد دون تركه للمحاكم والسلطة، فيعتبر مفتتتاً على السلطة، وأن ذلك لا يحمل عقوبة في الشريعة. (إذن فالشريعة تركت أبواباً مفتوحة دون أن تضع لها مادتها وعقوبتها وتركزت للمحاكم حرية تحديد العقوبة أو اختيارها والتعزير بالنفي أو الغرامة أو السجن أو الجلد، أو القتل، وليس القتل وحده إذن، ثم أليس الافتئات على السلطة فساداً في الأرض (وما عقاب الذين يفسدون في الأرض).

وبهذه الفتوى نفسها يمكن لأي متهور طائش خارج - وهم

كثيرون - أن يقتل الشيخ الغزالي نفسه (أطال الله في عمره وأمهده بالصحة والعافية) فالشيخ يتعرض لهجوم ساحق منذ سنوات من قبل المتطرفين، حتى أن سلسلة كتب صدرت في إحدى الدول العربية ثم بيعت وانتشرت تماماً في أوساط المتطرفين (بالمناسبة يمكن الحصول عليها من الأسواق والأرصفت) والكتب تحمل عنواناً وموضوعاً وحيداً هو أن الشيخ الغزالي مرتد، أحدهم (سليمان بن فهد العودة) وصف الغزالي - مثلاً - بأنه خطر على الأمة (١٠) وفي كتاب آخر ووثيقة أخرى تحت عنوان «عودة إلى الإسلام من جديد» (ص ٥٤) يتهمون الغزالي بأنه «سب بأقذع وأقبح الصفات النقاب الذي يكفي أن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كن يلبسنه» ثم لنا في كتاب أخير يحمل عنوان «كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها» لأحد دكاترة التطرف البديوي والذي سعى المحامون الذين جلبوا الغزالي إلى جلب ابن باز زعيم الفقه البديوي (ولو بإرسال فتواه للمحاكمة حول إغتيال فرج فودة بالفاكس) يقول ويؤكد فيها على اتهامات للغزالي.. مرعبة وقائلة لنقرأها بأنفسنا:

«ويؤسفني أن الشيخ الغزالي قد حشر نفسه في هذه الظروف الصعبة التي من بها السنة وأهلها، في خصوم السنة بل صار حامل لواء الحرب عليها وأصبحت كتبه وأقواله تمثّل دراسة ينهل منها كل حاقد على الإسلام والسنة النبوية المطهرة» (ص ٧).

وأيضاً «ما هذا يا غزالي؟ تنشد المؤاخاة بين الإسلام والأديان الكافرة؟ وهل كان الإسلام في يوم من الأيام يحمل هذه الروح ويبحث بكل شغف عن كل دعوة تؤاخي بين اليهودية والنصرانية والمجوسية والهندوكية؟ ويفتح المسلمون آذانهم وقلوبهم ويمدون أيديهم الى كل دعوة تؤاخي بين الإسلام دين الله الحق وبين الأديان الوثنية الكافرة؟ أين أنت من آيات القرآن الواضحة الفاصحة لكل من يريد أن يمد للكافرين يد الإخاء ويفتح قلبه لهم بالمودة والولاء» (ص ٢٤).

وتواصل قائمة الاتهامات رعبها:

«يتسم نقده بالهجوم العنيف والسخرية اللاذعة (نفس تهمة فرج فودة) فلا يعرف أدب الحوار ولا يعرف كيف يأخذ ويعطي كما هو شأن العلماء وليعلم القاريء أنه ليس لدى الغزالي من العلم والدقة والإحاطة بالأدلة ما يساعده على مقارعة الحجة بالحجة فيلجأ الى الهجوم العنيف المصحوب في كثير من الأحيان بالسخرية والتحقير» (ص ٦٧).

ثم بكل وضوح وصراحة تستكمل القائمة السوداء: «ان فكر الغزالي خطير جداً على الإسلام فهو امتداد خطير لشتى الدعوات الرهيبة فهو امتداد رهيب للاشتراكية والديمقراطية وامتداد خطير لدعوة قاسم أمين» (ص ١٩٦).

وأخيراً الإنذار والتحذير الحاد والقاطع للغزالي.. يقول نصه:
«فليعلن براعته من كل هذه الاعتداءات الغريبة والخطيرة على
الاسلام ويعلن توبته الى الله وعلى رأس الملا من أفكار يظل
يخدمها ويدعمها طوال خمسين عاماً» (ص ١٩٦).

إذا قرأ متطرف (وهم يقرأون أحياناً) شهادة الغزالي في
الحكمة.. وقرأ ما كتبه المتطرفون المتشددون عنه، فيمكنه ببساطة
أن يبيع دم الغزالي وبعضهم أباحه، فالرجل يتهم السنة ويطعن
فيها ويحطل حراماً ويخدم الأفكار الهدامة، وهو خطر على الأمة..
وكل خطر على الأمة يجب أن يزول..

ولهذا - كله - فإنني مشفق علينا - وعلى شيخنا الغزالي - من
شهادته.. ويحفظ الله دمننا - ودمه - من المفتنّتين على السلطة..
اللهم اغفر وارحم.. وتقبل يارب.

أُنفَ شاهين !

شاهين

هل محمد صميذة عبد الصمد
أكثر علما وفهما من الإمام
العادل عمر بن الخطاب؟

هل د. عبد الصبور شاهين

أكثر تقوى وجلالاً من الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز؟

هل أعضاء مجالس إدارات الريان وتوظيف الأموال (وهي
شركات ثبت نصيبها وجرمها)، والمحامون طالبو الشهرة ومحررو
الصفحات الممولة من النفط.. هل أكرم عند الله - وفي الحق - من
الأئمة والفقهاء وكتب السيرة والحديث النبوي؟ لقد عشنا وشفتنا
هؤلاء وقد «عماهم» لون الدم وشبق «التكفير» وانطلقوا يريدون
ذبح د. نصر حامد أبو زيد!

نعم..

قال المعنى الوحيد لصدور حكم قضائي بتفريق زوجة د. نصر عنه ان أي إرهابي ينتظره على باب المحكمة يمكنه قتله، وقد يجري د. عبد الصبور شاهين ليلحق بموعد تسجيل تليفزيوني.. ويلحق د. عمر عبد الكافي بسيارته ذات الربع مليون جنيه متوجها لتسجيل شريط جديد.

ما كل هذا الجنون بالدم.. وهذه الرغبة العارمة لدى هؤلاء في قتل رجل مسلم يقول - غصبا عن عين الذي أتجيبهم - لا إله إلا الله محمد رسول الله؟

هذا الجنون لا يفسره أبداً حمى التطرف في الشارع المصري، خصوصاً أن هؤلاء الذين يتحققوننا بمقالات وفتاوي في جريدة «عقيدتي» لسان حال التطرف الشرعي والجمود الفقهي (..). وهؤلاء «المسروعون» من أجل إحكام قبضة الفتاوى على رقبة الرجل.. كل هؤلاء ليسوا من المسجلين خطراً ولا يطلبهم اللواء حسن الألفي وزير الداخلية بتهم إرهابية (قد يكون البعض مطلوباً بتهم أخرى!!)، ولكنهم متطرفون إلى درجة نسيان الحق وتناسي السماحة وتجاهل الإسلام.

نعم إنهم يتجاهلون بديهيات الإسلام وثوابته ومسلماته..

كيف؟

الدليل في قضية «الردة» التي أخرجوها فجأة إلى ساحة

التناظر والخلاف والجدل والنقاش.. لكنهم - كمهدنا بهم - أشروا
عرض زاوية واحدة تثبت حججهم ووقائع تسند آراءهم بينما
حجبوا - في تدليس سبق له مثيل - كل الفتاوى والآراء المخالفة
لهم، المناقضة لأفكارهم ولغبيهم!!

وإن أذهب بعيداً..

سأعتمد فقط على كتب ومفكرين هم أول من يستنبطون اليهم
ويعترفون بهم ويقدمونهم، وعلى الأقل لا يتهمونهم بالكفر أو
المعصية أو الردة.. أو كل هذه التهم القاتلة.

سأعتمد بشكل أساسي على فقه السنة للسيد سابق ثم على
ملف فتاوى الردة للأساتذة د. يوسف القرضاوي، د. محمد سليم
العوا، جمال البنا (عدد ١٠ من مجلة منبر الشرق ١٩٩٣).

ولعل مناقشة هذه الآراء والتحايز معها وحواها تكتم فوهة
المدافع التي يعد لها أو يعدها رجال التحريم والتكفير وإلقاء التهم
على الناس بالباطل (بالباطل!!) تعالوا أولاً لنكتشف معاً - أو
لنتأكد فقد اكتشفنا منذ زمن - أنه لا يوجد أصل لحد الردة - أو
الردة - في القرآن الكريم وهو الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا
جاء بها وأحصاها وهو الكتاب الجامع والمنزه عن النقص أو
الخلل أو السهو، وهو الكتاب المنزل من الله سبحانه وتعالى
مفسراً ومفصلاً ومتعمداً لكل شيء.

يقول د. محمد سليم العوا «وعلى الرغم من ذلك بأن الآيات
الكريمة التي قدمنا نصوصها لاتشير من قريب أو من بعيد الى
أن ثمة عقوبة دنيوية - يأمر بها القرآن - لتوقع على المرتد عن
الاسلام، وإنما يتواتر في تلك الآيات التهديد المستمر بعذاب
شديد في الآخرة ويستثنى من ذلك ما أشارت اليه سورة التوبة
(الآية رقم ٧٤) والتي يتضمن نصها الوعيد بعذاب أليم في الدنيا
والآخرة، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الآية لاتفيدنا في تحديد
عقوبة الردة لأنها إنما تتحدث عن كفر المنافقين بعد اسلامهم،
ومن المعلوم أن المنافقين لا عقوبة دنيوية محددة لهم.. وهكذا فإننا
لانجد في النصوص المتعلقة بالردة في آيات القرآن الكريم تقديراً
لعقوبة دنيوية للمرتد، وإنما نجد فيها تهديداً متكرراً ووعيداً
شديداً بالعذاب الأخروي، ولاشك أن مثل هذا الوعيد لايرد إلا في
شأن معصية لا يستهان بها، ويكفي أن الله سبحانه وتعالى وقد
وعد المؤمنين بمغفرة الذنوب جميعاً توعد من كفروا بعد إيمانهم
ثم ازدادوا كفراً بأنه لن يغفر لهم ولن يهديهم سبيلاً، فالردة في
حكم القرآن الكريم معصية خطيرة الشأن وإن لم تفرض لها آياته
عقوبة دنيوية» ص ١٦، ١٧.

إذن الردة - لو ثبتت - أمر باطني بحت، بين العبد وربه،
سيعاقبه - إن أراد - وسيعفو عنه إن شاء وقد وسعت رحمته كل
شيء.

بل إن القرآن الكريم - كما يقول الاستاذ جمال البنا - أوضح بما لا يدع شكاً وفي مئات الآيات، وبالنسبة لكل أبعاد قضية الإيمان أن المعول والأساس هو القلب والإرادة، وصرح بأنه ليس للأنبياء من دخل في هذا بضغط أو قسر، وأنه لا إكراه في الدين ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

هي إذن قضية بين العبد وربه..

ما دخل مفتشي القلوب واصوص الضمائر بالتخصص على إيمان شخص وعقائد انسان؟
ما لهم به..

لكنه يبدو أن حيلة «القتلة» لاتتوقف.. فهام يرتكزون على أحاديث نبوية ثلاثة يحتكمون فيها الى قتل المرتد (هكذا قتل 19).
والأحاديث النبوية المتخذة ذريعة للقتل.. أحاديث أحاد، وحديث الأحاد - كما يشرحه د. القرضاوي - هو ما لم يبلغ درجة التواتر وقد يرويه إثنان أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر من الصحابة وأضعافهم من التابعين، ويضيف د. القرضاوي رأياً أرجو أن يكون محلاً للبحث لخطورته الشديدة رداً على العلماء الذين يرفضون - كلية وتاماً - الأخذ بأحاديث الأحاد في الحدود والأحكام «لأن معناه (عدم الأخذ بالأحاد)، إلغاء السنة من مصدرية التشريع الاسلامي أو على الأقل إلغاء ٩٥٪ إن لم نقل

٩٩٪ منها ولم يعد هناك معنى لقولنا إتباع الكتاب والسنة».

وأنا لا أعرف - حقاً - هل ١٪ فقط من الأحاديث النبوية مؤكدة متواترة وليست من الأحاد المشكوك فيها أو التي بين الرد والأخذ(١٠).

إذا صبح ذلك فنحن أمام امتحان حقيقي لاعادة فهم ومناقشة كثير من الاجتهادات (١١).

وإذا كان الأمر كذلك فنحن في حاجة ملحة الى الباب الذي أقفل، والشارع الذي أغلق والعقل الذي توقف.. نحن في حاجة الى الاجتهاد (١٢).

نعود الى رأي د. القرضاوي، فهناك رأي آخر للشيخ محمود شلتوت في مسألة الردة، إذ يقول «قد يتغير وجه النظر في المسألة إذا لوحظ أن كثيراً من العلماء يرى أن الحدود لا تنبث بحديث الأحاد، وإن الكفر بنفسه ليس مبيحاً للدم، وإنما المبيح هو محاربة المسلمين والعنوان عليهم ومحاولة فتنهم عن دينهم، وأن ظواهر القرآن الكريم في كثير من الآيات تأبى الإكراه في الدين».

ورغم أن د. أحمد صبحي منصور قد فند في كتابه «حد الردة» هذه الأحاديث النبوية (وهي عنده منسوبة الى النبي صلى الله عليه وسلم وليست نبوية)، وجرح في روايتها واستند الى

مراجع تاريخية شتى مثبتة أن الرواة لأحاديث الردة إنما هم كذابون (هكذا) وقد استعرض تاريخ أحدهم وهو الأوزاعي الذي عاش الإمام أبو حنيفة وبينما مات الأخير مسموماً بعد سجنه وضربه وتعذيبه من المنصور السفاح (ال خليفة العباسي) كان الأوزاعي يرقل في الخير كله وقد كان يحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم مناكير أي أحاديث ينكرها سامعها كما قال الذهبي في ميزان الاعتدال «وكان يفترى أحاديث عن رب العزة وينفس القدر كان يفتى للحاكم باستحلال الدماء كما أفتى لهشام بن عبد الملك الأموي بقتل غيلان الدمشقي، ثم أفتى للعباسيين باستحلال دماء الأمويين ولذلك عاش في كنف الأمويين ثم العباسيين، بينما لقي أبو حنيفة الاضطهاد منهم»..

وكان أبو حنيفة يقدم الرأي والقياس أي اجتهاده الشخصي على أحاديث الأوزاعي وغيره، وكان أبو حنيفة يقول عنه «ردى على كل رجل يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف القرآن ليس رداً على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تكذيباً ولكنه رد على من يحدث بالباطل»!

وعن عكرمة الراوي لحديث «من بدل دينه فاقتلوه» فهو عبد أو مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنه، ووصفه الإمام ابن حنبل بأن عكرمة كان يرى رأي الخوارج»، «روى ابن المديني أن عكرمة كان يرى الإباضية من الخوارج».

هذا أولاً ونحن نعلم من هم الخوارج.. وماذا رأوا وقالوا أو
أفتوا (من لا يعلم لا حاجة لنا به الآن!!) أما ثانياً فإن علي ابن
عباس بعد موت والده جعل في يدي عكرمة وقدميه قيوداً وحبسه
على باب الحششي «دورة المياه» فستل عن ذلك فقال ان هذا
الخبث يكذب على أبي..!!

رغم هذه الروايات التاريخية التي قدمها لنا د. صبحي
منصور لتثبت - وقد صحت وتأكدت - فداحة الأمر كله وضياح
الحق كله (..) إلا أننا سنؤجل الأخذ بها وسنعود الى البحوث
التي قدمها المتعاطفون مع الحركة الاسلامية والتي أصدرتها
مجلة منتمية الى حزب العمل وهو الحزب الذي لاشك أبداً في
إنحيازه للجماعات المتطرفة (..) وسنرى كيف يوافق - من زاوية
أو أخرى - ما كتبه المفكر الاسلامي جمال البنا مع ما كتبه المفكر
الاسلامي صبحي منصور.

يقول الأول: «إننا لانرد حديثاً لمجرد كونه حديث أحاد، وكل
حديث يثبت لنا نحترمه ونقدره، ولكن يجب علينا لكي نطبقه كمبدأ
عام أن نتقصى غاية التقصي وأن نلم بملايسات الحديث كله، وأن
نتأكد من أنه قد روي بالحرف وليس بالمعنى، وأن هذا قد يغير
المقصود ومع عدم الإلمام بالملايسات التي تجعله حكماً خاصاً
وهذه كلها شبهات قوية ويمكن لأقل منها أن ترد تطبيق حد
مذكور في القرآن على فرد واحد، فكيف يمكن تقرير مبدأ عام

يطلق على الكافة مع وجودها».

ثم يعيداً عن سيرة الرواة.. وأحاديث.. ألم يسأل
أحدنا نفسه، هل طبق النبي حد الردة في عصره، ومن ثم يكون
تطبيقاً عاماً وحرفياً لحديثه!

يقول الاستاذ البنا «إنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قتل مرتداً لمجرد ارتداده على كثرة المتألفين الذين كفروا بعد
إيمانهم»، ويقول د. العوا «لا يثبت أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم عاقب على الردة بالقتل».

نولاً يجب هنا أن نتذكر معاً في كتب السيرة النبوية كيف
تسببت حادثة الإسراء في ردة عدد من المسلمين الذين لم
يصدقوا النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم عادوا لكفرهم.. ولم
يثبت أن أحداً منهم نفذ فيه حد الرد.

ثانياً: كانت المدينة المنورة مملوءة بالمؤلفين الذين ثبت بالقول
وبالفعل، بل وبآيات المنزلة من السماء، أنهم منافقون مرتدون،
ومع ذلك لم ينفذ في أي منهم حد الردة، بل وصلى النبي (عليه
السلام) على أحد منهم بعد وفاته حتى جاء الأمر الإلهي
بعدم جواز صلاته خلف أحد منهم.

ثالثاً: كانت هناك حوادث ردة جماعية في المدينة المنورة،
والرسول صلى الله عليه وسلم النبي والحاكم ومع ذلك فلم يقتل
أحد.

وعلى العكس، فقد إرتد أحد كتبة الوحي وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح وأهدر النبي دمه وعندما فتحت مكة لأبن أبي سرح بعثمان بن عفان (أخوه في الرضاعة) فحمّاه عثمان وحصل من النبي على الأمان له.

والحوادث الفردية المشابهة لذلك أكثر من أن تحصى وتروى، لكن في عهد عمر بن الخطاب (وهو من هؤلاء) يرفض تنفيذ حد الردة بالقتل، وحين يسأل أنس عما يفعله بالمرتدين قال عمر «كنت عارضاً عليهم الباب الذي خرجوا منه أن يدخلوا فيه فإن فعلوا ذلك قبلت منهم وإلا استودعتهم السجن».

ومن الآثار المروية عن عمر بن عبد العزيز (وهو الخليفة الخامس لفرط عدله وحسن فعله وعظمة تقواه وورعه) «إن قوماً أسلموا ثم لم يمكنوا إلا قليلاً حتى ارتنوا فكتب فيهم ميمون بن مهران إلى عمر بن عبد العزيز فكتب إليه عمر أن رد عليهم الجزية ودعهم»، وإذا عدنا للفراروق عمر بن الخطاب (وهو درس لكل مجتهد وكل عاقل) «لم ير عمر عقوبة القتل لازمة للمرتد في كل حال وإنها يمكن أن تسقط أو تؤجل».

في شهر يولية عام ١٩٧٧ وفي مزايدة تامة معلنة على الجماعات المتطرفة، وفي غزل «غليظ» للمتطرفين حاول البعض أن يقدم مشروع قانون بإقامة حد الردة (ولا نعرف لماذا اختاروا هذا الحد فقط دون حدود الله؟).. وقد وصف المفكر جمال البنا هذا

القانون بأنه «ردة تشريعية حقيقية لعلاج ردة اسلامية وهمية».

ولو صدر فسيكون لحساب المغفلين والجهلة وأعداء الاسلام،
الذين سيقولون ان المسلمين إنما يقرون الله بالوحدانية ولحمد
بالرسالة تطبيقاً لقانون العقوبات!!

• • •

ويبدو أن المغفلين والجهلة وأعداء الاسلام لا يزالون يسعون الى
تدمير كل شيء وإراقة الدم (...) فالدكتور نصر حامد أبو زيد
مسلم رغم أنهم.. مسلم موحد بالله..

نل تهمة - أو ردة - أنه ناقش ولم يتعامل مع الاسلام على
أنه دين في «حضارة» أي مناقشة أو رأي أو فكر قد يلوث
«الهواء» المعقم المحيط به.

الاسلام أعظم من أن يحتاج الى عبد الصبور شاهين ومحمد
حميدة للدفاع عنه..

ولن تدير «عقيدتي» التي لاتسعد مهجتي شئون الدين الى
مافيه الاساءة للدين.. فلا إكراه في الدين رغم أنف «عقيدتي»
و«صميذة» وعبد الصبور شاهين!!

ثانياً:

أفكار وشرائط

- ١ - زواج المتعة
- ٢ - سلمان رشدي
- ٣ - قتل الفنانين
- ٤ - سســـــاندرا

ثانياً

زواج المتعة

زواج المتعة

زواج المتعة..

اطمئنوا.. لا نفوي أن ندمو
له.

لكننا فقط سندخل مع زواج

المتعة عش الديابير..

وسنعد الديابير.. ديورا.. ديورا!!

التقط المتطرقون مرامقات وفتيات ونساء على مدى السنوات
الكثيرة الدامية الماضية، تزوجوا منهن.. دون أوراق رسمية
أحياناً، وبلا شهود ولا عقود غالباً.

وانتشرت بينهم وفيهم حجج فقهية مزيرة، وأعلنوا الزيجات
شرعية وحلالاً طيباً بينهم، وانتصروا بأمر أميرهم وتزوجت كثيرات
منهن هذا الأمير.. أو ذاك.

الزواج موضوع هام وخطير في سراديب ودهاليز وبسطوح
المتطرفين.

كما انه قضية تشغل حيزاً ضخماً من تفكيرهم في المرأة
وفكرهم عنها.

ورغم ذلك فهم مستعدون ألا يسمحوا - رغم كل هذا - بأي
حوار حول الزواج.

انهم يضعون أقفاصاً حديدية مكهربة أو ملغمة ضد كل من
تساوره نفسه - وقلمه - في أن يضع الزواج تحت مجهر البحث
والحوار.

رصاصهم جاهز.

يضعونه أحياناً تحت سرير زواجهم الذي تم دون ورق ولا
أختام.

ولأن الله لم يضع اختاماً على قلوبنا، فقد قررنا أن نجري
وراء المعرفة.

وبالمعرفة تبدأ الحياة.

والحياة لا تتم بغير الزواج.

والزواج أنواع.

أنواع محرمة.

وأخرى محللة.

وزواج المتعة أحد الأنواع المألوفة في الفقه الديني.

السنة يرفضونه رفضاً قاطعاً.

والشيعة يحللونه حلالاً بيناً.

وسبحان الله الذي جعل في أمته من يرى أن زواجاً كهذا بغاء

ودعارة.

ومن يراه شرعياً وحلالاً.

مرة ثانية (وسنكررها كثيراً).

لن ندعو لزواج المتعة.

ولسنا معه.

لكننا فقط سنحاول أن نعرفه.

تحديداً في ٧ يولية ١٩٩٢.

اغتيال د. فرج فودة أمام عتبة مكتبه في مدينة نصر.

وقتها لم يكن كتابه «زواج المتعة» قد صدر.

والآن هاهو بين ايدينا.

نكاد نلمح على غلافه بقع دم الرجل.

وكل ما فعله د. فرج فودة في هذا الكتاب (الذي صدر عن

الدار العربية)، ان وضع امام أعيننا قصة الخلاف حول زواج المتعة منذ اللحظة الاولى لانبثاقه في تاريخنا الاسلامي.

وبكل ما أراده فرج فودة - ونريده - مجرد التأكيد على أن
المتعة - في رأيي كما أنه لايفسد للود قضية فهو أيضا لايسيل
للود دماء.

ان هذه القضية حاسمة وقاصلة.

وهذا الزواج موضع خلاف وشبهة.

ورغم ذلك فان الحوار حوله - بين فقهاء السنة والشيعة - جرى
على أبداع مايكون الخلاف وانقى ما يكون الصراع الفكري
والفقه.

انتا نريد - والله يفعل مايريد - إثبات ان اخطر القضايا في
الدين يمكن ان تناقش ويمكن ان يثار حولها جسدل وخلاف
واجتهاد.

ولهذا كان الاسلام صالحا لكل مكان وزمان.

اما المكان فمصر.

اما الزمان فالآن وبعد ١٤١٣ عاما خلت من هجرة الرسول.

ولتبدأ بالرسول..

حرم الرسول (صلى الله عليه وسلم) زواج المتعة في سبعة

مواضع وسبعة أزمنة.

لكن قبل الأزمنة والمواضع.

ما الموضوع؟

زواج المتعة هو زواج لأجل (زواج مؤقت) مقابل أجر (مهر) يتفق عليه بالتراضي (ولو كان قبضة من تمر أو دقيق)، ومع نهاية الاجل ينتهي الزواج بغير طلاق، علما بأنه لا حد أدنى أو أقصى للأجل، فقد يكون ساعة أو ساعات، يوماً أو أياماً، شهراً أو شهوراً، سنة أو سنوات وبه يثبت نسب الأبناء وميراثهم أيضاً لكن لا ترث الزوجة إلا لو كان شرطاً لها عند الزواج، وهي أيضاً لا تستحق نفقة إلا إذا اشترطت.. فضلاً عن انه لا عدد محدد في زواج المتعة (روي عن ابن جريج فقيه مكة الشهير انه تزوج سبعين مرة بالمتعة تأكيداً لحلها) وينعقد الزواج بلفظة واحدة، زوجتك أو انكحتك أو متعتك نفسي.

هذا هو زواج المتعة باختصار.

وهو كما ترون يسمح بأن يتحول وطننا مثلاً بين ليلة وضحاها الى عالم من الزواج السري.

ويخطورة الانسياق وراء فهم واحد للأمور.

ولخطورة الاندفاع وراء فكرة دون مناقشة.

كان لابد وأن نفتح أعشاش الدبابير.. وندخل.

وقف أهل السنة بضراوة أمام قضية زواج المتعة واعتبروها
زنا وفحشا ويرونها - في المحصلة الأخيرة - محرمة من النبي
صلى الله عليه وسلم قبل وفاته وفي أحاديث وردت في كتب السنة
أشهرها يرى علي بن أبي طالب وعن سيرة بن معبد الجهمي
بينما يرى الشيعة الإمامية أن الرسول لم يحرمها وإنما مورست
في عهده ثم عهد أبي بكر وصدر عهد عمر الذي حرمها
ويستندون في هذا لأحاديث في كتاب السنة أشهرها عن جابر بن
عبد الله الأنصاري، وعمران بن حصين، ويختلف الفريقان (كذلك)
على تفسير آية (فما استمتعتم به منهن) الواردة في سورة
النساء حيث يرى السنة أنها جاءت في الزواج الشرعي، ويرى
الشيعة أنها واردة في حل المتعة.

معنى ذلك أن زواج المتعة أحل في بعض عهد الرسول صلى
الله عليه وسلم.

وهنا مربط الفرس.

ومقبض الخلاف.

والخلاف عرضه فرج قودة في صورة محاورة مطولة بالحجج
والأسانيد المتبادلة والرجوع المنتظم للسنة النبوية والأحاديث
الشريفة والمصادر التاريخية، فتجد نفسك مثلاً وقد اندفعت إلى
الرفض الباتر لزواج المتعة حين تقرأ أن النبي صلى الله عليه

وسلم حرمه سبع مرات في سبعة أماكن (مواضع) وسبعة أزمان في غزوة خيبر (محرم سنة ٧) عمرة القضاء (ذي الحجة سنة ٧) ويوم الفتح (رمضان سنة ٨) غزوة حنين (شوال سنة ٨) وغزوة أوطاس (بعد حنين شوال سنة ٨) وتبوك (رجب سنة ٩) وحجة الوداع (ذي الحجة سنة ١١) ونعتقد أنه ليس بعد كل هذا التحريم شك أو تشكيك لكن تفاجأ بحجة شيعية تسألك: طيب وهو يعقل أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد حرمها ثم أحلها ثم حرمها ثم أحلها وهكذا سبع مرات كاملة وهو ما لا يستقيم منطقيا ولا سابقة له ولا مثيل.

ثم يفتح الشيعة (وبالمناسبة لا توافق الزيدية وهي مذهب في الشيعة على أن زواج المتعة حلال، وينفرد بها فقط مذهب الإمامية الاثنى عشرية وكلاهما معترف به في الأزهر) ثم يفتح الشيعة شلالا من الملاحظات العقلية والمنطقية حوله للتشكيك في هذه الأحاديث ويستندون - في نفس الوقت - إلى مراجع وأحاديث وردت في كتب السنة.

لكن السنة يشحنون أدلتهم ويركزون حول أمر واحد واضح. أن مراجع السنة أوردت قول الإمام علي بن أبي طالب وهو حديثه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى يوم خيبر عن متعة النساء وعن أكل لحوم الحمر الأهلية وكانت المناسبة هي الرد على ابن عباس في ترخيصه بالمتعة، وعندما ينحصر القول بين ابن

عباس وبين علي يرجح لدى السنة والشيعة معاً قول علي، وخاصة انه جاء بعد وفاة الرسول، الأمر الذي يقطع باستمرار تحريم الرسول صلى الله عليه وسلم لزواج المتعة الى الأبد، إذ يستحيل منطقياً ان تكون المتعة حلالاً ويخفى ذلك عن علي، وليس معقولاً ان يحرم على ما أحل الله ورسوله وعلي ابن ابي طالب باب مدينة العلم والحديث جامع مانع قصير قاطع لا يحتمل لبساً ولا يقبل تأويل ولا يداخله شك.

لكن حجج الشيعة (رغم كل هذه الصرامة والوضوح في حجج السنة) لا تبطل ولا تتوقف.

ووصل الأمر الى الاختلاف حول تفسير الآيات.

ويصبح هنا واجباً واجبنا ان نرجع الى المقدمة التي كتبها للكتاب د. احمد صبحي منصور الذي يؤكد انه حين نزل القرآن الكريم كان الزواج الشرعي معروفاً وقبل ان يكون النبي نبياً وقبل نزول الوحي تزوج محمد بن عبد الله من السيدة خديجة زوجاً شرعياً بل انه عليه الصلاة والسلام جاء من أباه وأجداد تزوجوا زوجاً شرعياً صحيحاً، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ولا يمكن ان يختار الله تعالى رسولا إلا اذا كان قد جاء من اسلاف تزوجوا زوجاً شرعياً، ثم نزل القرآن يعالج كل أمور الزواج ليجعله خالصاً لله.

لكن المدافعين عن زواج المتعة يستدلون بقوله تعالى «فما

استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة» (النساء ٢٤).
ويقولون انه ذكر لفظ (المتعة). وذكر «الأجر»، وذلك ما يتردد في
زواج المتعة، فهل هذه حجة قرآنية على جواز المتعة؟
د. منصور يجيب.. لا، لان القرآن في هذه الآية يتحدث عن
الزواج إجمالاً.

ويعود ليؤكد رفضه الكامل والمطلق لزواج المتعة.

**

مرة عاشرة نحن ضد زواج المتعة. لكن في هذا الحوار
والتناظر بين أهل السنة وأهل الشيعة لايسعنا إلا الاندهاش من
كثرة المردود عليه وغزارة المسكوت عنه. ان اسماء مثل ابن عباس
(حبر الأمة) لابن جرير، ابن حجر العسقلاني صاحب فتح
الباري، والطبري، والبخاري وحتى سيد سابق صاحب فقه السنة
كلها أسماء تداخلت فيها الاجتهادات والآراء والأفكار والأسانيد
بحيث أصبح الأمر حواراً نادراً رفيعاً يسمح لنا بفهم مجدد
ومعاصر للفقه، كما يلح علينا بحاجتنا الى انفتاح فكري وروى
معاصرة ورحمة الاختلاف التي وسعت واتسعت فشملت خلافت
حول أمور شتى ومذاهب كثر دون حاجة الى إراقة الدماء ودون
مخافة البوح بكل اختلافنا صريحاً ومعلنأ.

وهذا بالضبط ما يلمسه فرج فودة حين يقول «إن خطورة

قضية زواج المتعة تستند الى أسباب عدة أولها مأزق الحاجة لاجتهاد معاصر، وثانيها خطورة الاستناد لاجتهادات عصور سابقة، وثالثها مأزق الدعوة للعودة الى الجذور دون مراجعة، ورابعها وهم اليوتوبيا (الجنة على الارض) في عصور خلت، وخامسها مأزق استلهاهم النص وحده دون إعمال العقل، وسادسها مأزق الفصام بين الأصولية والمعاصرة فالأولى نقل والثانية عقل، والتوفيق بينهما وارد وممكن ولكن ليس في ظل مانراه من انغلاق فكري وفكر انغلاقى، وسابعها المأزق الذي يقود اليه تقييم نصوص السنة على أساس السند وليس المتن، وثامنها الأسى لخلاف المسلمين دون طائل يجنى سوى تمزق الصفوف ودون محاولة لرتق الخلاف، وتلافي أسبابه، وتاسعها ضياع الحقيقة بين الجهل والتجهيل والتجاهل من الفريقين، وعاشرها مأزق التناقض بين قضية فحواها الإباحة ومضمونها الحرية وبين اجتهادات أخرى في قضايا تتصل بها فحواها القيد ومضمونها التشدد.

**

سيعود البعض ليسألنا ولماذا تتكلمون الآن عن زواج المتعة؟
ونحن نجيب ولماذا لا نتكلم؟ أليس أفضل كثيراً من الكلام عن
الجن والعفاريت والثعبان الأقرع والثعبان بشعر!!

سلمان رشدي

هل أنوي الدفاع عن سلمان
رشدي؟
لا أنا جريء ومجنون الى
هذا الحد.

سلمان رشدي

ولا القارئ حسن الظن بي الى هذه الدرجة.

**

لا توجد محاكمات بدون دفاع، ولا يوجد دفاع بدون محامين.
لكننا.. عند أي هياج سياسي أو زار جماهيري ننسى أبسط
قواعد العدل وننسف أبسط حدود المنطق.
منذ أربع سنوات والكاتب البريطاني الهندي المولد باكستاني
الأصل مسلم الديانة سلمان رشدي مهدد بمسيرة «س» الخميني
بإهدار دمه، ومع ذلك لم نسمع أي دفاع.

والدفاع من حقه.

كما ان أي قاض عادل لا يخشى من محام نابه، ولا من المحامي فقد تجرأت على أن تسمعوا صوته.

ورغم انه قد يسؤه تعبير «المحامي» إلا انني اعتقد انه لقب يشرف الحقيقة.. التي لانسعى إلا إليها.

من هو؟

وكيف؟

لنصبر.. ونرى.

**

إن قارئ هذه السطور يحتاج شجاعة أكثر من كاتبها لذا تعالوا نتفق أولاً على أن نحاول الفهم ثم نحاول - بعد ذلك بكثير - الحكم.

**

أما المحامي - أو الذي اعتبره كذلك - فهو مفكر سوري كبير اسمه صادق جلال العظم، من مواليد دمشق ١٩٣٤ ويعمل حالياً أستاذاً زائراً لدراسات الشرق الأدنى في جامعة برنستون في الولايات المتحدة وزميلاً في مركز ديلسون في واشنطن.

له ١٢ كتاباً.. وأحدث كتبه بعنوان «ذهنية التحريم» خصص

حوالي نصفه الحديث عن قضية سلمان رشدي، والحقيقة انه قضى في معهد برلين للدراسات العليا عاماً دراسياً كاملاً (٩٠ - ٩١) للإطلاع والبحث وتجميع المادة والكتب وحتى قصاصات الصحف التي تناوت وتداولت قضية سلمان رشدي منذ تفجيرها وكذلك حصل على جميع ملفات معهد العالم العربي في باريس المتعلقة بقضية سلمان رشدي وروايته «آيات شيطانية».

الملاحظتان الواجب الكلام عنهما هنا، ان الرجل لم يستسهل كما فعل أغلب مثقفينا وقرر الهجوم على سلمان رشدي دون حتى قراءة صحيفة واحدة من كتابه.

إن هذا الفارق يوضح - بينما لا حاجة لتوضيح - ان بعضنا أو كلنا لم نتعلم حتى الآن معنى الديمقراطية وان الهجوم القطيعي والقطعي والحشد والتعبئة تجاه أمر بعينه سمة من سمات مجتمعنا وسبب من أسباب تخلفه، إن لم يكن السبب الأول.

ماعلينا..

الملاحظة الثانية ان جلال العظم لم يلتق.. أو على الأقل لم يقل انه التقى بسلمان رشدي.

والآن..

مع مذكرة الدفاع.

**

أول ما فعله الكاتب صادق جلال العظم انه فتح ملفات المقالات التي كتبها نقادنا واساتذتنا الكبار عن آيات شيطانية وسلمان رشدي، وهي فضيحة رسمي وبجلال.

فالكل كتب ولا يعرف روايات رشدي ولا آيات شيطانية والكل هاجم، دون أي ادراك لخطورة ما يفعل.

ولأن الأمر كله بمثابة فضيحة داخلية بينما معشر الكتاب والنقاد فلاداعي للتفاصيل.

ولنكتف بالفضائح السياسية..

**

كيف بدأ الأمر كله؟

يحكي جلال العظم واقعتين، الواقعة الاولى في خريف ١٩٨٨ عمل تحالف للقوى الديمقراطية في افريقيا الجنوبية على تنظيم مؤتمر - مهرجان في مدينة جوهانسبرج - لنصرة الحريات الديمقراطية في البلاد، لاحظ لم تكن التفرقة العنصرية قد انتهت بعد، وبخاصة حريات التعبير والنشر وتداول المعلومات والمطالبة بإلغاء الرقابة الحكومية (بيضاء كلها) على الفكر والصحافة

وأجهزة الاعلام والمطبوعات وذلك برعاية صحيفة الويكلي ميل ومؤتمر كتاب افريقيا الجنوبية المعارضين للابارتايد، التفرقة العنصرية.. وجهت اللجنة المنظمة للمؤتمر دعوة الى سلمان رشدي للمشاركة في أعماله وإلقاء كلمة الافتتاح وعنوانها «حيثما يحرقون الكتب يحرقون البشر ايضا».. (لم يكن هناك حرف قد ظهر عن آيات شيطانية بعد..) وحتى لا يخالف رشدي أحكام المقاطعة المفروضة على جنوب افريقيا من جانب الأدباء والمثقفين والكتاب في العالم أجمع تقريباً استشار قيادة حزب المؤتمر الافريقي، حزب نيلسون مانديلا الحائز حالياً على جائزة نوبل للسلام، وقيادة القوى المعادية للابارتايد في بريطانيا واوروبا، فكان جواب القيادتين تشجيعه الشديد على تليبيتها وعلى المشاركة الفعالة في أعمال المؤتمر مع توجيه الشكر له على موقفه النبيل.

هنا .. ظهرت الكارثة..

في جنوب افريقيا ساعتهأ أقلية هندية مسلمة متواطنة مع نظام التفرقة العنصرية (أرجو ألا يغضب أحد من الحقيقة) هذه الأقلية تملك - استمراراً لتواطئها - مقاعد برلمانية في المجلس النيابي المخصص للأسيويين الملونين وحدهم.

وأعلنت الأقلية إياها الجهاد المقدس لمنع المؤتمر.. وبدأت تبثّر تهديداتها على الجميع.

وأولهم سلمان رشدي، المسلم القادم، و«المواجه للعنصرية»
وطال التهديد الجهات المنظمة للمؤتمر كلها بما فيها الصحيفة
الرئيسية المعبرة عن وجهات نظر تلك الجهات وسياساتها، ومؤتمر
كتاب افريقيا الجنوبية، طبعاً هناك من يعتقد جازماً ان سلطات
بريتوريا العنصرية هي التي حركت القيادة المسلمة بفرض
التشويش على المؤتمر وتخريبه.

على كل حال كان سرور السلطات العنصرية البيضاء واضحاً
وكبيراً أمام مشهد القيادة الآسيوية المسلمة وشبه البيضاء وهي
تتصدى بأسم الدين والاسلام لمؤتمر افريقي مختلط لاتريد
إنعقاده أصلاً

وانحازت سلطات بريتوريا - بفروسية نادرة - الى جانب الدين،
وصارت أول دولة في العالم تمنع رواية سلمان رشدي، ياسلام
على النبل والطيبة واحترام الانسان والأديان.

واذا سمحت لنفسى - كأني جالس في قاعة محكمة يتفرج - أن
أقول شيئاً، فهو الى متى يتوقف إستخدام الدين في لعبة
السياسة، إلى متى؟ الى أن نعرض جميعاً يوم القيامة على الله؟

والدليل الواقعة الثانية..

ومن الهند..

يقول جلال العظم معروف ان انبعاث التطرف الهندوسي
الأصولي والتطرف الاسلامي الأصولي يدفعان بالهند اليوم الى
هاوية الحروب الدينية والمذهبية الأهلية بدمويتها التي لا تحرم،
احتدم الصراع بين الطرفين مؤخراً على مسجد بناء الإمبراطور
المغولي بآبور في القرن السادس عشر على انقاض معبد
هندوسي سابق على ما يبدو، ويظهر ان كلا الطرفين اكتشف فجأة
القيمة الروحية الفريدة والأهمية الميتافيزيقية العظمى
(الميتافيزيقية هي ما وراء الطبيعة) والحظوة الغيبية المتميزة لهذا
البناء المقدس بالذات دون غيره، لذلك تم تنظيم مسيرات هندوسية
واسلامية مضادة في صيف ١٩٨٨ بغرض السيطرة على البناء
مما كاد يؤدي الى مذابح دموية كبيرة جداً، هنا تدخل عضو
مجلس النواب الهندي الطموح سعيد شهاب الدين - المحسوب
على الاسلام الأصولي النفطي والتابع لحزب جاناتا المعارض -
ليعقد صفقة انتخابية مع راجيف غاندي رئيس الوزراء يومها،
تنص على منع رواية سلمان رشدي من التداول في الهند مقابل
إيقاف المسيرة الإسلامية المتوجهة الى المسجد المذكور، بهذه
الطريقة تم إقحام آيات شيطانية، وقبل أي ردود فعل شعبية في
الصراع الديني الطائفي الدائر في الهند ليس هذا فحسب، بل
في حملة حزب جاناتا المعارض على حزب المؤتمر الحاكم.

مرة أخرى لنعلق من داخل قاعة المحكمة..

هل من الممكن أن يفكر الناس قليلاً في أي مظاهر تخرج
حاملة شعارات دينية، عما وراء هذه الشعارات وتلك المظاهرات
من أهداف... ومن سياسة(!!) مثلاً.. بوت مظاهرات في باكستان
ضد... لمان رشدي ولكن لابد أن ندرك أنها خرجت بوحى
... وبرعاية وبجماهير حزب الرابطة الاسلامية الاصولي بعد
سقوطه المدوي في الانتخابات أمام بنازير(قبل عودتها الاخيرة
المظفرة بعد هزيمة ساحقة للرابطة الاسلامية).

لقد كان المتطرفون يبحثون عن قضية لاستعراض العضلات
وإثبات الذات ونفخ القوى (!!) فلجأوا الى المظاهرات (!!).

بل والى إحراق المركز الثقافي الامريكي وليس الى المركز
الثقافي البريطاني «بريطانيا هي ناشرة الرواية وحامية
الكاتب!!» ويرى د. صادق العظم في موضوع آخر هام من
الكتاب ان هذا الاحتجاج من متطرفي باكستان وانصار ضياء
الحق، لم يكن ضد آيات شيطانية بقدر ما كان ضد امريكا بسبب
تخليها عنهم مؤقتاً لصالح حزب بوتو.

ويذهب أحد مراجع كتاب العظم وهو كتاب آخر لعادل درويش
وعماد عبد الرازق بعنوان الآيات الشيطانية بين القلم والسيف،
الى انه من الغريب ان نواز شريف وبقية قادة حزب الرابطة
الاسلامية والجماعات الاسلامية لم يطرحوا مسألة منع الكتاب

تماماً مثلما لم تصدر الجمهورية الإسلامية (..) قراراً بمنع الكتاب إلا بعد أن منعتة الهند الهندوسية بأكثر من شهرين، فلماذا إذن انتظر نواز شريف والقادة الاسلاميون حتى فبراير ١٩٨٩ وبعد صدور الكتاب بخمسة أشهر لتسيير المظاهرات؟ الاجابة هي في احراج وتوتر القوى النفطية التي تدفع لها بالبتروdollارات.

**

لقد تم اصطياد سلمان رشدي وروايته وإدخاله عنصر اثاره وتجارة في حرب سياسية تتخذ الدين شعاراً وستاراً.

ولكن أين ايران؟

استعدوا للمفاجأة..

**

الجاليات الإسلامية في بريطانيا شأنها شأن الجاليات الإسلامية في ألمانيا أو أمريكا، (تجشمت مواطنة مصرية تعيش في أمريكا عناء الاتصال التليفوني بي كي تسبني وتتهمني في ديني!!)، جاليات تعاني من اختراق سياسي سافر «من السعودية ومن ايران» وان هناك داخل كل جالية عددا من التنظيمات المتداخلة والمنفصلة الموالية أو الممولة من أنظمة بعينها، تحركها وتثير بها العواصف.. والعواطف.

ولقد تم استخدام الجالية الاسلامية في بريطانيا، أحسن
أسوأ، استخدام في قضية سلمان رشدي وبينما كانت السعودية
تحرك المسلمين ضد انجلترا بسبب سلمان رشدي لوحث الأخيرة
بغضبها فانسحبت، بينما استثمرت ايران الموضوع برمته ودخلت
بحداتها في الارض الرطبة والملوثة!

**

قبل شهر من لعن سنسفيل سلمان رشدي في إيران وإصدار
فتوى بقتله.

كان هذا الأديب نفسه يتلقى جائزة الدولة في ايران؟
نعم..

هذه هي المفاجأة التي ادهشتني أنا قبل أي أحد آخر.

لقد قامت الوزارة المختصة بشئون النشر في طهران
الاسلامية بترجمة روايتي سلمان رشدي «اطفال منتصف الليل»
و«العار» الى الفارسية ووزعتهما على نطاق واسع، وكما في كثير
من بلدان العالم الثالث الاخرى - على حد قول د. العظم - لاقت
الروايتان انتشاراً واسعاً في ايران واهتماماً كبيراً من جانب
القراء والأدباء والنقاد والمحليين، بما فيهم الملاوات طبعاً، وفي
الواقع منحت اللجنة الوزارية العليا في البلاد أعلى جائزة «جائزة
الدولة المرصودة لترجمات الأعمال الأجنبية الى الفارسي» الى

رواية العار، وفي شهر نوفمبر ١٩٨٨ جرت مراجعة معقولة لرواية الآيات الشيطانية في الصحافة الإيرانية، كما نشرت صحيفة «كيهان»، وهي تعادل الأهرام هناك، في الشهر التالي مقالاً عن أدب رشدي امتدحت فيه روايتيه الأوليين ونقدت نقداً شديداً الآيات الشيطانية لكن دون أي تحريض أو تهويل أو استفزاز (١٠) بل ويضيف د. العظم هنا أهمية مضافة الى كلامه.. ان روايات رشدي المترجمة والفائزة في ايران تحمل بعضاً - أو كثيراً - مما حملته أيضا الآيات الشيطانية (١١).

ماذا جرى اذن؟

إبحث عن السياسة؟

**

نتنقل الى الأكاذيب الكبرى في قضية سلمان رشدي.. وهي ان الغرب يحميه!!

أما أن انجلترا تحميه فهذا طبيعي وطبيعي جداً.. فلنتخيل مثلاً أن مؤلفاً مصرياً أصدر كتاباً رأت فيه إيران - مثلاً - أو غيرها، أن به مساساً بالدين والإسلام، وصدرت من مؤسساتها الجاهزة للفتوى فتاوى قتل وإهدار دم المؤلف، هل ستسارع الحكومة المصرية بتسليم أحد رعاياها وأديبها الى الموت!! أم أنها ستحميه!

الدكتور العظم يرى ان بوكاسا نفسه كان سيلجأ الى حماية
سلمان رشدي لو أنه من رعاياه.

وهذا صحيح..

ففي فتوى إيران تجاوز لسيادة انجلترا على رعايها،

فاذا استبعدنا الحماية الجسدية (لاحظ أن ليبيا ترفض منذ
شهور تسليم رعاياها للمحاكمة فقط وليس للقتل، لدى دولة
أخرى).

فماذا نرى؟

قليلاً مع كتاب د. جلال العظم (وبقى أن نقول انه صادر عن
دار رياض الريس في لندن)، وسنعرف ما هو موقف الغرب
الحقيقي تجاه سلمان رشدي.. وحتى لانغوص في كلام فارغ
أحياناً، حول ان الغرب يضطهدنا ويعذبنا ويجلدنا ويذبح الاسلام،
وما الى ذلك من الملاحظات الجاهزة في سوبر ماركت الكثيرين في
مصر وغيرها!

لقد كان موقف الرئيس الامريكي وقتها جورج بوش ونائبه
دان كويل ووزير خارجيته جيمس بيكر واضحاً جداً ولاعناً جداً
لسلمان رشدي (..). بل لقد كتب الرئيس الامريكي الأسبق جيمي
كارتر مقالا في النيوزويك تايمز (٨٩/٣/٥) بعنوان «كتاب رشدي
إهانة» ووجهت رئيسة وزراء انجلترا وقتها مارجريت تاتشر وزير

خارجيتها جيفري هاو هجوما وسخرية على الرواية ومؤلفها الى حد ان معلقا انجليزيا أشار إلى أن تهجم رئيسة وزراء البلاد ووزير خارجيتها على رواية يشكل حادثة مخزية لهما معاً لا سابقة لها في الحياة العامة في بريطانيا المعاصرة.

موقف رئيس سابق لحزب المحافظين الحاكم في بريطانيا «نورمان تيببت» وهو المقرب من تاتشر وصاحب نفوذ سياسي يميني قوي وصف فيه رشدي بقوله «الضيف الوقح وغير المرحب به الذي يعوي باستمرار عواء الجراء ويشكو دوماً من هذا البلد كي يلفت الإنتباه إلى نفسه ودون أن يكون لديه أي إستعداد لمغادرته عائداً إلى بلده الأصلي.

كذلك موقف أطراف كثيرة منهم الكاردينال لوكونرو أسقف نيويورك وأبرز شخصية كاثوليكية في الولايات المتحدة الامريكية كلها وأكثرها نفوذاً وتأثيراً في البلاد، فقد أدان رواية رشدي بعد إعلانه صراحة أنه لم يقرأها.

وفي الفاتيكان نفسه، أدانت الصحيفة البابوية اليومية الرسمية رشدي وروايته دون أية اشارة الى خطر الموت الذي يلاحقه، وكان البابا قد تلقى دعوة من أية الله الخميني الى التصرف تصرف الحماة الحقيقيين للإيمان.

الحقوقي البريطاني الشهير اللورد هارتلي شوكرس الذي

اتهم رشدي بالإساءة الى الحرية التي تشارك فيها جميعا في بريطانيا، كما اتهمه لورد آخر بما يشبه الخيانة، في وقت كانت تمر فيه محاولات بريطانيا لإصلاح جسورها مع بلدان اسلامية معينة (اي ايران) بمرحلة حساسة.

إفرايم شابيرا الحاخام الأكبر لليهود الاشكيناز في إسرائيل الذي دعا الى حظر نشر رواية «الآيات الشيطانية» في إسرائيل بعد إدانتها الدينية وغير الدينية لها.

عامانويل جاكوبوفيتز الحاخام الأكبر للطوائف العبرية المتحدة في الكومنولث البريطاني والمؤتمر السنوي للأساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة الامريكية ومؤتمر الكنيسة المعمدانية في جنوب أمريكا ثاني أكبر كنيسة هناك.

وغيرهم..

وغيرهم..

ولكن لماذا أستقبل الرئيس الأمريكي كلينتون سلمان رشدي في البيت الأبيض؟

مرة أخرى انه الإستخدام السياسي لقضية سلمان رشدي في اللعب مع الدول وبالدول!!

لقد قصدنا من كل هذا أن نفهم قبل أن نتكلم، وأن نعي قبل أن نهاجم، وأن ندرك قبل أن نحكم.

لقد رأى سائق تاكسي كتاب د. جلال العظم في يدي وعليه اسم سلمان رشدي، فتغيرت ملامحه وفيما يشبه الهجوم والتأنيب الذي لم يصل إلى الضرب، سألتني:

- هل تقرأ لسلمان رشدي؟

قلت.. وكان الخوف لم يتسلل داخلي بعد: - وماله نشوف بيقول إيه؟

قال: يانهار اسود، إنه رجل كافر ولا بد من قتله.

سألته: عرفت منين؟

قال: من الجرائد..

وأنا أنزل من التاكسي تهكمت وقلت:

- يا أخي وانت بتصدق الجرائد؟

وكنت قد نسيت أنني صحفي..

قتل الفنانين

قتل الفنانين

هاهي المساجد تفتح أبوابها
للحديث عن مادونا.. وعن
نبيلة عبيد.. ونادية الجندي!
ليست المساجد فقط بل

الشيوخ والدكاترة وأصحاب كراسي الأستاذية في دولة عربية
شقيقة (..) فتحوا حناجرهم لإتهام السينما المصرية - ومصر -
بأنها تصدر العفن الى المنطقة العربية والاسلامية.

فتحوا الحناجر وأشهبوا الخناجر ورفعوا المصاحف..
وسجلوا آلاف الشرائط.. وأعلنوا أن قوافل التائبين في هذا العهر
(الذي يسمى الفن) ستقضي السينما المصرية وقذارة الفنانين..
ومجون وفسق الوسط الفني!

وهاهي شركات كاسيت كبيرة وضخمة ومننتفخة تصدر الى
مصر الشرائط التي تلعن فنانيتها وتجرم فننها وتكفر ممثلها

وتلعبن في دورها الثقافي طعن هند بنت أبي عتبة في جسد حمزة (..)

السينما المصرية - الآن - وبعد ٦٥ عاما هي عمرها في أوراق نتيجة الصانط... ونتيجة المؤرخين والأحلام، مطالبة بالدفاع عن نفسها، لكن رأس الحرية المحمية والمثوبة القادمة من بلاد النفط ضد الفن والسينما المصرية.. رأس حرية تدمي الفن وتزعم العالمية.. ويلكنة ولهجة خليجية سعودية تمسح الحروف المصرية من اللسان.. جاء صوت المخرج انيس عبد المعطي!

هل سمعتم عن هذا الاسم؟

أبدا.. هو أسم مجهول (أو جاهل) قذفت به صناعة التوبة الفنية وتجارتها وتوزيعها، وتسويقها الرائج هذه الأيام، قذفت به أمام المساجد المصرية وعند باعة الشرائط المتطرفة التي تبدأ بلعن العلمانية، وتكفير من لم يحكم بما أنزل الله وقاله عمر عبد الرحمن، وتنتهي بالحديث عن المرأة وحجابها ونقابها وثيابها ومشيتها ونظرتها وهمستها ومعاملتها لزوجها.

والى الفن المحطة النهائية لهذه الشرائط التي تكاثرت وتوالدت وانتشرت وامتدت ولم تعد تلك الشرائط الموزعة والمباعة على استحياء المهربة والمطبوعة في أماكن سرية، بل صارت ظاهرة علنية فادحة الانتشار.

ومصر بلد طيب..

وأكثر الطيبين والفقراء والبسطاء.. هم الهدف الأول والآخر
لشرائط الكاسيت القادمة من جدة الى أنحاء الصعيد والدلتا وفي
سيارات التاكسي في شوارع القاهرة!

منذ فترة والهمس يلمس أذان الناس حول مجموعة شرائط
كاسيت لرجل يدعي أنيس عبد المعطي تحت عنوان «توبة المخرج
السينمائي» المجموعة تتكون من خمسة شرائط مدتها كلها ٤٥
دقيقة ويباع بثلاثة جنيهات للشريط الواحد، والمجموعة كلها - لمن
لايهوى جدول الضرب - بـ ١٥ جنيهًا.

والشرائط تنتشر..

بالضبط مع إعلانات الحجاب للفنانات (..) وصيحات تحريم
وتجريم الفن والكتب السرية والعنيفة.. يأتي شريط الكاسيت
ليتسلل الى أذن الناس في مصر.

وهذه المرة الخطب والمحاضرات على لسان واحد يقال عنه
مخرج وفنان.. وشاب يقولون عنه عالمياً ويحكي وكأنه واحد من
الفنانين المصريين ويتحدث عن الوسط الفني ويصل بالناس الى
كون الفن المصري لعبة في أيدي الصهيونية العالمية لتدمير
وتكسير وتحطيم الانسان المسلم وأنه عهر وعفن (التعبيرات
بنصها).

وأن هؤلاء الفنانين إنما بُعثوا لتبصير الإسلام والمسلمين
وإفساد المنطقة العربية الإسلامية..

ليس هذا فقط..

فالشرائط تتقدمها آيات قرآنية بأصوات شجية باكية منتحبة..
بل إن أحد هذه الشرائط ينقل مسامح مختارة من إعلان المطرب
السعودي محمد عبده اعتزاله للفن وسط بكائيات فادحة ودعوات
حارة وأصوات متهدجة مؤثرة، فضلاً عن خطاب قصيرة يقدم فيها
الشيخ الكويتي أحمد القطان المخرج السينمائي إياه.

وأحمد القطان أحد نجوم شرائط التطرف في مصر، والعجيب
أن السنوات العشر الأخيرة انسحب فيها الصوت المصري من
أهميته في عالم تلاوة وقراءة القرآن الكريم لصالح شيوخ من
السعودية، والخليج كما تراجع الدور الهام الذي يلعبه خطباء
وفقهاء مصر لصالح فقهاء الصحراء أو فقهاء البدو.

هذه الجملة الاعتراضية الطويلة تثبت فقط أن الأمر ليس أمر
شباب سينمائي فشل أو نجح في حياته ثم ذهب للسعودية ليعان
توبته عن الفن ويتحول إلى داعية لتجريم الفن.

ويصول ويجول في الحديث عن عالميته في هوليوود وبيون
وبرلين ولندن، وعن جلوسه الى جانب صوفيا لورين وفستانها
الطويل بظهرها العاري (والعياذ بالله) وعن مادونا التي رآها

المخرج لثلاثين مرة رؤيا العين وفي ملابسها صينية ويابانية
وأمركية و.. بغير ملابس (!)

ليس أمر شاب سقط قد ننتهمه بالخلل النفسي أو المرض
الذهني، ولكنه أمر خطة محكمة كاملة منظمة تلعب دوراً في
تشويه الفن، وتلقي بكل ما تملكه من ماء النار على وجه الفنانين
المصريين بدءاً من عزيزة أمير وعزيز عيد الى شريهان واحمد
بدير.

وتبدو الأسماء العالية التي تظهر في الشريط أيضاً مثل
أستاذ سعودي في جامعة مكة وأسمه سقر الحوالي والذي
يتحدث عنه المخرج باعتباره أستاذه وصانعه وراعيه، ويتحدث
الأستاذ السعودي نفسه عن توبة المخرج ويرى أن قائمة التائبات
تطول والحمد لله وأن الفن يعاني من تقويض وتدمير، وإنهيار
وتمزيق، وانكسار وانحسار، ودهوى عروش زائفة.

ويضيف الرجل، أن هؤلاء الفنانين إنما هم عبث وإنما هم
مجون وإنما هم أهل التدمير في أبنائنا وبناتنا وزوجاتنا وأهلينا.

ثم نسمع المخرج إياه التائب يتحدث أمام المصلين عن شيخ
ثري آخر يذكر اسمه كاملاً في الشريط - وقد أعلن عن تبرعه
ودعمه بـ ٦٠٠ مليون ريال لمواجهة الأفكار الهدامة (..)

وهو ما يثير ويؤكد تماماً وجود تنظيم أو تخطيط أو قل منظمة أو مخططاً وراء هذه الشرائط التي تكتمل أيضاً عقب نهاية كل خطبة بفتح باب الأسئلة من المصلين للمخرج التائب (..) حيث يسألون عن فائدة وعلاوة ويجيب هو - مثل أي مفتي أو شيخ - عن فائدة وعلاوة!

القضية ليست إذن متوقفة عند مخرج مصري شاب أصابه لبس أو مس، أو حتى كان سليماً معافاً صحيح النفس والبدن، واعتزل الفن (قبل أن يبدأه) ليست قضيته بل ربما ليست قضيته إطلاقاً فهو مجرد أداة - مضحكة في بعض الأحيان - لكن الالتفاف حوله ودعمه، لكن استخدامه واستعماله، لكن السعي وراء ذبوعه وانتشاره، لكن اللهث خلف تقديمه للأذن المصرية عبر حواجز الحدود وبأسرع مما يتخيل أحد، ولكن إغراق الريف المصري بشرائطه*، كل هذا يضع علامات إستفهام أو إستنكار حقيقية حول دور واضح ضد الفن المصري والسينما المصرية تحديداً

لكن من هذا الشاب؟

خصصت خطبة الشريط الأول كاملاً للتعريف بهذا المخرج وتوبته.. والإنصات المتأمل في خطبه يكتشف مغالطات واقتراءات واضحة لمن قرر أن يكتشف (..)

* يذكرني هذا بالشريط الذي تداولته الأيدي في بعض قرى مصر عن توبة مايكل جاكسون، وأطلقوا عليه اسم الحاج مايكل جاكسون.. وأذاعوا حفل توبته أمام مجاهدي أفغانستان (تخلوا المسخرة).

فمثلاً الشاب يقول: أن الأصابع الصهيونية تبحث في القرى
المصرية عن محبي الفن وعباقرته الصغار لأجل وضع العراقيل
والعقبات والصعوبات أمام وصولهم للمجد الفني حتى لا يتسلبون
ولا يتوبون عن كل هذا المجد بعد كل هذا الشقاء.

ورغم إعتقادنا الجازم أن الأصابع الصهيونية تكمن في أماكن
كثيرة من العالم العربي، لكننا ننظر لأصابعهم الباحثة عن الفن
والفنانين في القرى على أنها مجرد نقطة.. وإذا مددنا الخط على
إستقامته لكان طبيعياً - مثلاً - أن تكون الأصابع الصهيونية
واقفة خلف هذا المخرج وهو يخطب في الناس لاعناً مصر وفنها
وفنانينها، أو أن الأصابع الصهيونية موجودة في الشركة التي
تروج له ولأفكاره.. أو أن الأصابع الصهيونية موجودة في أميننا
جميعاً تخزقها وتعميها عن بلاويننا وعيوبنا ومصائبنا.

ثم يقول أنيس عبد المعطي أنه نجح بعد عذاب في الإلتحاق
بمعهد السينما بعد أن تقدم على أربعة آلاف طالب، وكان الأول
عليهم فقد قبل المعهد سبعة طلاب فقط.

وهذا كله كلام فاضلي..*

* أخبرني أحد المخرجين الشبان أنه كان زميل أنيس عبد المعطي في دفعة
معهد السينما.. وأنه ترك المعهد بعد التحاقه بشهرين فقط.. ولم يكن
الأول طبعاً.

ثم يزعم أنيس عبد المعطي انه قدم ١٢ فيلماً عالمياً وطبعاً
لأنعرف متى لحق مخرج ان يقدم خلال عشر سنوات ١٢ فيلماً
وعالمياً أيضاً (١١)

ومتى وأين وكيف؟

المهم لايقول أنيس هنا أية معلومات عن أي فيلم سوى فيلمين،
الأول يقول أن أسمه: «حكايتك يا بلد» وأنه قدم بأسم «آه يا بلد»
وكتبوا عليه أن حسين كمال هو المخرج، وهنا تدخل قصة موسمية
مكررة أسمها اتهام مجهولين لفنانين معروفين بسرقة أعمالهم
واقتراسهم، ولكن أنيس عبد المعطي يضيف أن الأمر في القضاء
منذ ١٥ سنة، ورغم أن الاضافة لاتعني لدى أحد شيئاً سوى
الاصرار على الجنون، إلا انها تعني لدى البسطاء أن الحق لن
يضيع وان الرجل مظلوم فعلاً.

وطبعاً لايفوت المخرج الفرصة في الكلام عن القوانين
الوضعية في مصر التي أخرت قضيته، ولا أعرف لو كانت مصر
تطبق حدود الشريعة.. هل كان سيثبت أحقيته في الفيلم (١٠) أما
الفيلم الثاني الذي يتحدث عنه أنيس فهو بعنوان «القضية» كان
يصوره في السعودية مع محمد عبده، ولكنه لم يتم لتوبة أنيس
والتي تبعثها توبة عبده.

أين الأفلام إذن؟ لا أعرف؟

**

لنتترك هذا الشريط كله الآن.. ونتوجه الى شرائطه التالية التي تأخذ عناوين من قبيل «تشويه المرأة»، «فنون ومجون»، «قذارة الفن»، «حروب الفن ضد الاسلام».. وهي كلها عجينة واحدة وفيها تكرار وإلحاح على مناطق بعينها في حياة الفنانين ولأسماء فنانين محددة ومعينة!

لكن ما يمكن الإنتباه له بداية هو هذا الكم الفاضح المريع من الكلام عن الجنس داخل مسجد وأمام مصلين، وأعتقد أن هذا جزء كبير من نجاح الشرائط هناك قبل هذا.

ثم نتعجب أيضاً لهذا الإصرار على التعامل مع السينما المصرية فقط دون غيرها. هم يقولون لأنها السينما الأم، ولأن مصر تصدر للمسلمين العفن، لكن دعنا نسأل: لماذا لايتوجه بعض الهجوم وليس كله لاسمح الله.. الى فنانين وفنانات من سينمات عربية اخرى، خصوصاً ان السيقان العارية تظهر فيها أيضاً.. وخصوصاً انها سينما وليدة يمكن ان يكبس المتطرفون على أنفاسها فيقتلونهم في المهد.

هذه ليست دعوة أبداً للهجوم على أحد، فنحن نرفض الهجوم كلية وتاماً - وأظن الكلام واضح من أول سطر - لكننا فقط نرسم خطوطاً غليظة حول سر الإلحاح في الهجوم على مصر فقط.. فقط.. فقط (!!)

وتؤكد الشرائط وأصحابها على ثلاثة أمور:

الأول: تكفير فكرة الفن أساساً ودعوة صريحة لإلغائه وإنهائه وعدم السماح أصلاً بالكلام عن دور إسلامي للفن.. فن يعني عهر.. وفنان تعني في الفصحى حماراً مخططاً.. وخلاص.. الفن حرام وكفر.. إلغي.

الثاني: ان الهجوم الضاري الذي تشنه السينما ضد الإسلام مقصود منه اخراج المرأة من بيتها.. والتحذير واضح!

الثالث: ان المكان الذي يتحدثون منه وفيه هو آخر المعازل المدافعة عن الاسلام.. وماعداها وصلت اليه العلمانية والكفر والصهيونية.

سنعلق على الأمر الأول والثاني وستعلقون أنتم على الأمر الثالث حيث الإدعاء الصريح بأن السعودية هي آخر معازل الإسلام (..)

**

من هنا نفهم مثلاً كيف ترى هذه الشرائط والخطب. الأفلام التي تناولت التاريخ الاسلامي (أو الأفلام الإسلامية) قد حاربت الاسلام أكثر من أي شيء آخر، بل وكيف طعننت في النبي صلى الله عليه وسلم.

المخرج التأثي يقول: في فيلم فجر الاسلام لصالح ابو سيف.. ظهر الرسول وأصحابه على الشاشة وقام بدور عمر بن الخطاب عبد الله غيث، وظهور الرسول بشخصه وأصحابه على الشاشة

جريمة لا تفتقر.. ولو ظهوروا هكذا لكان أقل وطأة مما ظهوروا عليه.. لقد ظهر الرسول مثل سحابة وغشاوة والعياذ بالله، وهذا في عالم السينما يسمى رمزية كما تعلمنا، والرمزية استعاضة شيء بديل عن شيء ليعطي شيئاً، والسحابة تنقشع حتى مرحلة ما مع ضوء الشمس، وكذلك الغمامة.. يقولون إن الدين ورسوله سينقشع والعياذ بالله.

أرايتم خلطاً وجهلاً من القائلين والسامعين أكثر من هذا؟

أما عبد الله غيث فلم يقدّر بدور عمر بن الخطاب في الفيلم.. لأنه ببساطة لم يكن يمثل في الفيلم إطلاقاً لا دور عمر ولا غيره.. ثم إن أحداً لم يقدّر بدور عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أي فيلم أو مسلسل.

أما أن الرسول صلى الله عليه وسلم ظهر كسحابة، وأما ما تعلمه المخرج من رمزية يعلمها للناس فهو إفك وكذب، فالمشهد كله كان نقلاً فنياً لما حدث تاريخياً بالفعل حين كانت الغمامة في السماء، وليس في السينما. تتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة في الصحراء أثناء رحلة تجارية لهما (..)

هذا عن التاريخ.. وعن الفيلم أيضاً..

ثم تعال معنا، أليست السحابة في بلاد صحراوية جدباء قاحلة كتلك التي ظهر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم تمثل

الخير والمطر والظل، وإن قدمها دليل على رضا الله (!!)

ثم يقود المخرج الحديث كله إلى عادل إمام.. وقد تعرض عادل إمام - ويتعرض - إلى هجمات شرسة من المتطرفين.. لكن هذا الشريط يقدم أغرب اتهام للرجل وفنه يقول «لقد تحدى بمسرحيته الواد سيد الشغال مسلمي مصر ورجالها في اسبيوط وكل البلاد المسلمة وذهب لينتقد الاسلام في عقر داره».

أبشروا فقد أصبحت اسبيوط بلد مسلمي مصر ورجالها..
وعقر دار الإسلام (!!)

**

اما المرأة، فكل ما في الشرائط والخطب عنها... والفنانات ثلن اكبر قدر من الهجوم والتهجم.. «م. ك» مثلاً أقسم المخرج إيماناً مغلفة أن بوليس الآداب ضبطها أكثر من مائة مرة. المفاجأة ان «م. ك» هذه أعلنت اعتزالها وتحجبها، ولا أعرف ما رأيه الآن؟ هل ضبطها بوليس الآداب مائة مرة أو تسعين فقط؟

ثم هذه هي فائن حمامة؟

يقول عنها «أول فنانة حطمت وكسرت ومزقت المرأة»، وأنها «بدأت في مرحلة النضج تقدم أفلاماً تدمر في شرع الله».

ثم «.....» سعاد حسني، مكان النقط لفظ بشع، قدمت فيلم «الزوجة الثانية» سبحانه الله يريدون ان يكتبوا هذا الامر

ويقولون انه لايجوز ولايصح وجود زوجة ثانية.. طبعاً كلكم
تتذكرون فيلم «الزوجة الثانية» (..)

أما نبيلة عبيد ونادية الجندي وشريهان وغيرهن.. فالخطب
كثيرة وممتدة..

والأكاذيب مستمرة..

والافتراءات بلا انقطاع..

وهذا المخرج يقول مثلاً عن محمد عبد الوهاب: انه لم يبك في
حياته خشية الله قط، وأنه بكى مرة واحدة فقط. حين تعادلات
هولندا مع مصر في كأس العالم، أحرزت هولندا هدف التعادل
في مرمى مصر فبكى محمد عبد الوهاب، ياسبحان الله.. لم يكن
يريد ان تتعادل مصر، كان يريد ان تظل فائزة ١/٠ صفر مع انه
مهزوم أمام الله مائة/صفر.

والعجيب.. ان مصر هي التي أحرزت هدف التعادل في
هولندا!

نحن نحذر من موسم الحج القادم وكل موسم حج قادم
ماكشف عنه وفضحه أنيس عبد المعطي يؤكد اننا يجب ان نحذر!
ليس بسبب لقاء بعض الحجاج المصريين بالإيرانيين.. ليس
لأن الحج تم استغلاله كثيرا من قبل في تبادل المعلومات والخطط
واللقاءات الشرعية.. لزعامات التطرف والإرهاب.

ليس بسبب ذلك ولا غيره.. ولكن بسبب وحيد أكيد.. وليس بجديد.. لأن آلاف الحجاج المصريين العائدين - ومن بعدهم وقبلهم - آلاف المدرسين العاملين بالخليج يجلبون مع «الطاقة» المخزومة و«السبع» الكهربائية ملايين من شرائط الكاسيت التي تدمر وتذيع وتروج للتطرف ضمن حقائبهم وهداياهم.

نقول ملايين الشرائط..

لماذا؟

لأن الحجاج يشتررون مجموعات كاملة منها (المجموعة تتجاوز أحيانا عشرين شريطا) وبحسبة بسيطة للجمع أو الضرب أو القسمة سنكتشف أن عدد الشرائط سيصل للملايين.

فضلاً عن حركة المبادلة والطبع والنسخ التي ستجري بعد ذلك والمصيبة الأخرى أن هذه الشرائط تكتسب مع روحانية الحج وعظمة هذه الشعيرة وقداستها النبيلة، ستكتسب فضلاً وأهمية ومصداقية وخطورة أكثر من أي شرائط أخرى، والمشكلة أن من بينها ستكون شرائط أنيس عبد المعطي (..)

وقد تصدر أسم أنيس عبد المعطي قائمة الشرائط المتطرفة التي تم ضبطها بالآلاف في مصر، وقد عاد مؤخراً إلى مصر وبشكل آمن ومطمئن إلى أن أحداً لن يعاقبه ولن يرفع صوته في وجهه.. عاد أنيس عبدالمعطي من السعودية واستدار إلى

الصحافة ليعلن براءته من هذه الشرائط... وهي براءة مزيفة
بنفس درجة زيف شرائطه.

نحن لانصدق - وليس لأي عاقل أن يصدق - أن هذا الرجل
قرر الضحك على صانعي ظاهرة التوبة من الفن وانغمس معهم
ليكتب عنهم فيلماً.

هذا ليس كلاماً فارغاً فقط.. بل فارغاً جداً..

ماعلينا..

فإعترافات أنيس عبد المعطي أنه كان يساير الشيوخ هناك
ويضحك عليهم ولهذا قام بتسجيل هذه الشرائط وتقديم هذه
الادعاءات تكشف وتعري فضائح شرائط المتطرفين ودعاة
التطرف والتوبة عن الفن.

ومثالاً

١ - من الواضح جداً أن هناك تنظيماً ممولاً وراعياً مخططاً
لقضية التوبة عن الفن، ومهمته التقاط أي منتم للفن ليعلن
توبته حتى لو كان هذا الشخص نكرة بلا معنى ولا شهرة
ولا ماضي ولا حاضر ولا مستقبل.. المهم أن يؤتى بهذا
الشخص ويُصنع على عجل ويقدم كنجم مصري تائب
وتنشر حوارات معه أو صور له يتم استخدامه في المساجد
والندوات والمحاضرات ويقدم لآلاف المصلين - خصوصاً
المصريين في هذه الأرض المكرمة - وينورون به على كل بقاع

الخليج ويطلبون له الشرائط (وملايين الشرائط).. ويبدو جلياً كيف تعامل أعضاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع أنيس عبد المعطي عندما عرفوا أنه مخرج سينمائي، فقد توسموا فيه فوراً إمكانية تحويله الى أداة في خدمة ضرب الفن المصري.. وقد نجحوا.

٢ - ليس مهما قيمة الفنان بقدر ما هو مهم ما يقوله عن الفن وما يتلوه على الفنانين.. ليقف أنيس عبد المعطي على منبر جامع تحت دعوى أنه فنان تائب، ثم يرفع صوته ويؤدي بنبرات خليجية تماماً دوره المرسوم.. فيقول عن سعاد حسني انها فاجرة وفاتن جمامة فاسقة وانه جلس مع فلانة وهي تشرب «.....» ومع علانة وهي مع ترتان!.. وهكذا.. المطلوب تلطيخ الفنانين، وقد تم.

٣ - ليس مطلوباً ان تتوجه هذه الشرائط للمتطرفين، ابدأ، المطلوب ان يسمعها ويردها المواطنون المصريون في الخليج، وان يحملونها معهم الى مصر وقراها ومدنها، المطلوب ان يشعر الملايين من هؤلاء بالعار من الفن «المصري» وبالتنصل من الفنانين «المصريين» وبالكراهية للثقافة «المصرية».

٤ - بعد ان يقوم الجميع بدورهم في تقديم نجم وداعية التطرف والتائب عن الفن، يتولى الأمر آخرون.. يمولون الشرائط

(كما يمولون الأسلحة والتنظيمات بالضبط). ويمررون هذا الداعية على المساجد والمدن والقرى.

٥ - في ظل التصدير «الخليجي» لشرائط التطرف يصبح طبيعياً ان يلتقط المتطرفون في مصر هؤلاء الدعاة الجدد، فتستضيف جمعيات أنصار السنة أتياس عبد المعطي في مساجدها، ويطلب منه راكبو «الميكروباصات» الذي التقى بهم صدفة «كما قال للصحف» المحاضرة في أحد المساجد ويعرضون عليه، مدفعا رشاشاً ليحميه (لأعرف يحميه ممن؟).

٦ - لابد أن نسأل أنفسنا - ونفسنا - كيف يرعى كل هؤلاء المشايخ وأساتذة الجامعات وعلماء الخليج هذا المخرج وغيره؟

نبدل «كيف» الى «لماذا»؟.. لماذا ينتقلون به من «مسجد الى مسجد»؟.. لماذا يقدمون له في المنابر ويروجون له في المحاضرات ويشرحون كلامه في الشرائط؟

انها شبكة كاملة تعرف ماذا تفعل!

وقد فعلت!!

فإذا كانت مهمة البعض هي تحويل الدين الى تنظيم إرهابي، فمهمة البعض الآخر دفع المواطنين العاديين الغلبة والمهاجرين

إلى الخليج سعياً وراء الرزق إلى متعاطفين وانصار ودعاة
للتطرف بمجرد حضورهم إلى مصر!

المطلوب أن يصدقوا ما يقوله خطباء وشيوخ التطرف في
الخليج عن مصر ونظامها وفنها.. وأن يروجوا لذلك وأن يتعاطفوا
كذلك مع كل حرب إرهابية ضد الفكر والفن والإبداع.

والوسائل سهلة وبسيطة ومحمولة جواً.. أنها الشرائط، ٢٥٠
ألف شريط تم ضبطها في المدارس المصرية.. هذا ما تم ضبطه،
فماذا عما تم توزيعه وتسريبه وتهريبه؟

وهذا في المدارس فقط.. فماذا وراءها.. ومعها؟

السؤال الآن..

تراجع أنيس عبيد المعطي وكشف بطولته لقضية كاملة مع
سبق الإصرار والترصد.. لكن هل تتوقف سيول شرائطه؟.. حتى
لو توقفت.. هل لن يتكرر عشرات مثله وغيره؟

**

لو أن في مصر من يسمع الكلام..

ما كان كل ماجرى.. قد جرى!

إن قضية أو ظاهرة أو كارثة شرائط التطرف ليست وليدة
اليوم، ولا حتى وليدة أول أمس.. إنها الظاهرة التي صرخنا نحذر

منها منذ فترة طويلة..

إنها أخطر من رصاص القتل وعبوات النسف..

فهي الإرهاب الحقيقي..

الإرهاب الذي يتسلل الي العقل ويسكن في الوجدان..

ويدفع اليد للسلاح.. والدم.

هل هذا كلام «إنشأ»؟

او موضوع تعبير يستحق درجة مرتفعة في الإمتحان؟

ممكن جداً..

ولكنه حقيقي..

ساندرا!

سائجرا

منذ سنوات، كتبت نبيلة عبيد
في إحدى مقدمات
مسلسلاتها اسمها «نبيلة
محمد عبيد».

هكذا على ما أذكر..

كان ذلك رداً على شائعة أنها مسيحية، فسارعت نجمة
السينما إلى النفي بهذه الطريقة.

وبنفس الأسلوب تقريبا، رد مجدي وهبة (الممثل الراحل) على
شائعة أنه مسيحي بنشر اسمه «مجدي محمد وهبة».

وقتها لم يلتفت أحد كثيراً للدلالة وأهمية الشائعة والنفي معاً،
وأظن ذلك في نهاية السبعينات ومطالع الثمانينات (إذا لم تخني
الذاكرة وهي لاتخونني في العادة).

وفي المرحلة نفسها كتب د. يوسف ادريس مقالاً نارياً - أعاد نشره فيما بعد بأحد كتبه - رداً على خطاب أرسلته قارئة هل هو مسيحي أم مسلم؟ وأنها هي مع صديقتها قد تشاجرتا حول الحقيقة وقررتا الإحتكام إليه، يومها أنبهاً د. يوسف ادريس - بكل ما هو معروف عنه من حماس وروعة - وهاجم بعنف فكرة طرح سؤال من هذا النوع وكأنه أساس الفصل بين أن تصدق قارئة أو تكذبك، ولكن د. يوسف ادريس أخبرها في نهاية مقالته أنه مسلم «مسلم ياستي.. إرتحت»!!

وقد لجأت الى نفس ما فعله د. يوسف ادريس في مقال لي أكدت فيه - أمام أسئلة شديدة السخف وهجوم شديد الحمق - أنني مسلم (مسلم ياجماعة إرتحتوا).

لكن أحداً لم يفكر في سر الحرص لدى الكثير من الناس حول معرفة ديانة الكاتب والإرتكان إليها في الحكم على ما يكتبه، وهو السر نفسه الذي يحاول الفنان معه أن يذكر ديانته رداً على أسئلة أو شائعات يحكمها الحرص نفسه والفضول الأحق لمعرفة ديانة الفنان.

وبينما أرى عشرات الناس يحبون نجومياً أمريكيين ويعلقون صورهم في حجرات نومهم، ويعشقون مطربين أجنبين ويشتررون كل جديد لهم أو عنهم، وهم يعرفون معرفة كاملة يقينية أنهم

مسيحيون، لكن بمجرد أن يشكوا في اسم مطرب أو مطربة
مصرية يسرعون للسؤال هل هو مسيحي أم مسلم؟! وكأن
المعلومة الجديدة سوف تحدد إختياراً قادماً ولا أستطيع أن أزع
هنا أن الفضول وحده هو الذي يحكم مثل هذه الأسئلة!

وقد إنتابتني هذه الخواطر طيلة الفترة الماضية ومنذ شعوري
اليقيني والحقيقي أن ثمة تغييرات قد مست قلب المجتمع المصري
في هذا الصدد، وأن علينا قبل أن نهتف بحب مصر (ولامانع من
التهتاف على ألا يكون بصوت المطرب محمد ثروت فقط) أن نفكر
فيما حدث لنا بروية وهدوء.. علينا أن نعرف كيف ظهر التشرخ
في سقف المنزل، بينما لم نكن قد لاحظناه طيلة السنوات
الماضية، وربما لاحظناه لكننا أقنعنا أنفسنا أنه شرخ في الطلاء
و«البياض»، أما الخرسانة بخير (١١).

لكن هذه الخواطر تحولت الى آلة دائرة لاتكف عن دهمس
سكوتي، حينما شاهدت فيلماً قصيراً أسمه «آخر شتا» كان
مشروع تخرج المخرجة الشابة ساندرا نشأت، وقد عرض ضمن
مسابقة مهرجان الاسماعيلية للأفلام التسجيلية لعام ١٩٩٣.

هذا الفيلم بكل مقاييس السينما والفرجة والمنطق والدين
والعلم والحساب والهندسة والكيمياء والجداول الاحصائية، بكل
هذه المقاييس فيلم رائع ومدهش، يستطيع أن ينفذ الى قلبك

ويتربع على أحاسيسك ويملا وجدانك ويشغل بالك ويشغل مخك
ويحرك كل سنتيمتر تجمد في مشاعرك (..).

إنه يحكي ببساطة عن «فريدة» الطالبة الصغيرة، ابنة الأسرة
المسيحية الغنية، التي ترتدي نظارة تبعدها عن اللعب مع
صديقاتها في المدرسة، ثم تذهب في أجازة نصف العام إلى
العزبة حيث تلقي مع طفلة فقيرة، وتتبادلان الصداقة والحب، ثم
الرسائل بعد عودتها من الأجازة، وبينما هي تستعد للسفر إليها
في أجازة نهاية العام، تفاجأ بأن والدها باع العزبة وأنها لن تعود
إليها أبداً، هذه الذكريات تشق قلب فريدة وهي الآن سيدة كبيرة
حين دخلت الكنيسة لتعترف للقس، بينما لمحت عروساً تدخل
الكنيسة وتنسى فريدة بعدما أخذتها الذكريات نظارتها على حافة
شباك الاعتراف، لكنها تعود لأخذها كأنها تبصر حياتها وتستعيد
ذكرياتها من هذه النظارة.

الجديد أن الفيلم كله بالأبيض والأسود ومهدى إلى زمن
الرومانسية، وأنه لا يتحدث عن الوحدة الوطنية، أقصد أنه ليس
مباشراً ولا خطابياً ولا يمكن أن يكون مثلاً من انتاج الهيئة العامة
للاستعلامات.

إنه فيلم ساحر لمخرجة ساحرة (حصلت على المركز الأول في
دفعتها بالمعهد) لكنها أثبتت لي شخصياً وأنا جالس في قاعة
عرض بسيطة معتمدة في الاسماعيلية أنني في حاجة للإجابة عن

أسئلة طرحتها على نفسي (وعلى القارئ في هذه السطور) كما
أثبتت لي أيضاً أن السينما المصرية يمكن أن تجيب عن كل هذه
الأسئلة فقط ليس على طريقة نبيلة عبيد، ولكن على طريقة
ساندرا نشأت.

ثالثاً: رحلة سريعة للعقل

هذا الجزء
مهدى إلى الشابة
شهيبة سمير سامي

ثالثاً

رحلة

في الطريق الى ألمانيا.. وفي
أي من الطرق الى مدنها لا
تجد أبداً لافتة تحمل عبارة
«ابتسم أنت في ألمانيا».

ومع ذلك فأنت لا تملك سوى الابتسام.

فهذا البلد الذي يمثل فيه حزب الخضر (وفروعه وتوابعه) قوى
سياسية برلمانية واسعة تدافع عن الخضرة والبيئة.. تطالب
بحقوق «الخضرة» في ألمانيا.. هذا البلد ليس فيه شيء أكثر من
«الآلات» إلا الخضرة!!

فوق الجبال (وقد صعدنا فوقها بتليفريك) ودخل الغابات (وقد
اجتازناها بأتوبيس أغدق علينا بالمتعة) وفي الشوارع (وقد مشينا
فيها حتى أنت الأقدام). وفي البيوت حيث لم يكتف سكانها
بخضرة حوالها وأمامها بل يخضعون على نوافذهم وأبوابهم

مساحة خضرة بزروع وورد و زهور غانية (الصوت الوحيد الذي يمكن أن يزعجك أثناء تجوالك بين البيوت صوت آلة تهذيب أوراق الشجر).

كل هذه الخضرة.. وأكثر.. بينما تحمل على كتفك خرافة أن مصر بك زراعي!!

نعم.. لو كنت ريفياً مثلي قادماً لأوروبا لأول مرة ومازالت مستعداً لكي تندهش (!!!) فإن الخضرة التي إستقبلت دقائقي الأولى (ومنذ لحظة إطلالة الطائرة على مدينة فرانكفورت) تستدعي داخلك عنف - وعيث - مقررات الجغرافيا التي درستها في الثانوية العامة.

فمصر قد تكون بلداً زراعياً (رغم أن أي مقارنة انتاجية مع ألمانيا زراعياً ليست في صالحنا)، وقد يكون معظم سكانها يعيشون على الانتاج الزراعي لكن الحقيقة انها كما انها لا تحب الخضرة.. فهي لا تحب الزراعة!!

مع احترامي لكل ثوابت التاريخ - وليس لأوثانه - فإن ألمانيا - على سبيل المثال - لم تدع شبراً من مساحة أرضها أصفر!!

لقد زرعت الجبال والسهول والغابات ووضعت اللون الأخضر في أراضيها.. وصنور أولادها.. بينما نحن (البلد الزراعي) نمزق مساحات الخضرة (والخضرة ليست زينة بالمناسبة) تحت الأسمت.. نحن نعشق البنايات الأسمنتية الي حد إغتصاب

الزراعة بالدرجة نفسها التي نعشق فيها العمل في المصالح الحكومية.

ومع ذلك فإن المانيا (أو الألمان) غير راضين عما وصلوا إليه من زراعة.. وخضرة..

بعد كل ذلك!!

فهمان، فمشكلة (أو سبب حضارة) المانيا أنها لا تقارن نفسها بالصومال!!

كما لا يظهر على شاشتها أي مسئول (المانى طبعاً) يصرخ في شعبه ويقول (إحمدا ربنا.. انتم مش شايقين البلاد اللي مش لاقية تاكل والبلاد اللي ماشفتش خضرة).. إن المانيا - كغيرها من عالم الغرب - تبحث عن النموذج والمثال، تطمح للكمال (والكمال في الدول غير الكمال في الشخص)، ولا تنظر تحتها أبداً، إنها تنظر فوقها، ولا تقارن نفسها بمن هم أقل وأدنى.. بل لا تكف عن محاولة «التقدم» و«التطور».

ويمكنك أن ترى المانيا الحقيقية في مصنع سيارات.

لقد دخلنا الى مصنع «أوبل» في مدينة بوخوم (أحد أجمل بلدان المانيا) ولن أترك نفسي.. وأنا صاحب علاقة محدودة للغاية بالتكنولوجيا.. منطلقاً نحو الانبهار بالأداء داخل المصنع، رغم أنه يستحق الانبهار تماماً» (١٢٠٠ سيارة كل ورديّة) فضلاً عن

تجربة مشاهدة بناء سيارة من مجرد كونها بعض معدن ملتحق الى كونها سيارة متكاملة مروراً بكل مراحل تصنيع سيارة (ساعتها تشعر أنك أمام مشهد سينمائي مصري مما يظهر فيه الحقل وقد كبر فجأة وصار زوجاً).

ورغم ان هذا المصنع شهود لقائي الأول الحار والملتهب بالانسان الآلي شخصياً، إلا ان ما يدفعك الى تصور تجسيد هذا المصنع لألمانيا تماماً ليس عدد العاملين فيه (١٧ ألف عامل ومهندس) ولكن رقم الباحثين الذين يعملون في مركز أبحاث المصنع، حيث يبلغ عددهم ٨ آلاف باحث!!

وسأترك لك فرصة التحليل.. وربما مصممة الشفاة، لكن أرجوك دقق النظر في الأرقام لتعرف لماذا تتقدم ألمانيا... ولماذا يتقدم الغرب!!

في شوارع ألمانيا لم أر سيارة واحدة ليست في مصر، بل إن السيارات التي «تخزق» عينك في القاهرة ليست موجودة في برلين وبيون وهامبورج (وهي أشهر المدن)، ولكن الفارق الهش والضعيف والهامشي بيننا وبينهم، أننا نركب السيارات، بينما هم يصنعونها دائماً.. ويركبوها أحياناً!!

فألمانيا من أشهر دول العالم في إنتاج السيارات (مرسيدس وأودي وبي إم دبليو وفولكس وأوبل وغيرها).. إلا أن السيارات لا تملك - وحدها - شوارع ألمانيا!!

حين تمطر سماء ألمانيا.. تمطر بإخلاص وأمانة وتقان ألماني
صرف.. وتتشابك السحب الضبابية مع بعض ربيع عابث فوق
الطرق السريعة، تنطلق سيارات كثيرة تحمل فوقها دراجتين في
وضع قائم، كأنها مستعدة للانطلاق من فوق سطح السيارة. هذه
الدراجات فوق السيارات مشهد يومي في كل إنطلاقة من مدينة
إلى أخرى، لكن المدن نفسها.. داخلها، وسط شوارعها، لا أكثر
من الدراجات (هذا في وطن السيارات)، إن كل ضيفاء الذي
إحتشد في السنوات الماضية كان متمثلاً في أن الصين (بكل
مافيه من بساطة وطينية وملابس زرقاء) هي بلد الدراجات (لم
أذهب إلى الصين، لكن الصين جاءت لنا كثيراً)، لكن في سياق
إعادة النظر في السيارات أو إعادة الاعتبار للدراجات، فإن
ألمانيا بالفعل صاحبة صوت، وصيت، بالغ الروعة في الدراجات،
إن أجمل مشاهد صباحية رأيته في بون مثلاً، هؤلاء المعجّز
الملونون بالحمرة، مرتدي الـ «تي شيرتات» البيضاء والنظارات
الأنيفة (شهرة أخرى تضاف لألمانيا: إطارات النظارات) وهم
يقودون الدراجات في الشوارع العامرة بالخضرة وعلى خفاف
نهر الراين (بالمناسبة لا يوجد أجمل من نهر النيل.. أي نهر!!)
إن الطرق المستدة للدراجات وحدها في شوارع هذه المدن،
والحفاوة البالغة لراكبيها وانتشارها المذهل والكثيف وأنواعها
المتعددة ورواجها بين كل الطوائف والشرائح هناك، وتحويلها إلى

وسيلة مواصلات حية وهامة، كل هذا يدفعك لمحب الدراجات!
(بالمناسبة لا أجد قيادة لا السيارات ولا الدراجات) ..

وقد استدعت مشاهد الدراجات الراكنة أمام المصانع
والمصالح بكثرتها وانتظامها في صفوف.. إستدعت المشهد
اليومي الذي ألقاه في القاهرة حين عبوري فوق كوبري فيصل،
حيث مئات الدراجات الراكنة أمام الشركة الشرقية للدخان،
وكيف نمتعض من الدراجات لدينا وتعامل مع ركابها بإعتبارهم
صبيبة جلب الخبز من الأفران أو مراقبي الثانوية في شوارع
القناطر، بينما لو أتاحت لمصر حرية الدراجات لتمكنا من إنقاذ
أتوبيسات القاهرة من زحام خانق ولأرتفع مستوى الرشاقة
والمعاملة بين موظفي مصر!!

أكلما تحدثنا عن المانيا قادتنا أقدامنا لمصر!!

وحتى في كرة القدم...

دعنا من أن استاد ناصر أفخم وأجمل وأروع من أي إستاد
رياضي ألماني على الإطلاق، لكن مشهد الجماهير هناك مبدع
تماماً في خلق حالة البهجة والروعة في تشجيع الكرة، لكننا لا
ننوي الكلام عن يكتباور ولا أحفاده، فقط في استاد بوخوم، حيث
شاهدت مباراة كرة القدم بين حوالي ٢٠ ألف متفرج، كانت
المفاجأة أن هناك عشرين ألف كوب بييرة (عبوة نصف لتر) في
أيدي الجماهير.

فتنحن في وطن البيرة..

على مسئولية الألمان الكثيرين الذين سألتهم، فإن ألمانيا بها
ألف نوع من البيرة، بل هناك تنافس مريع بين المدن حول صناعة
البيرة، وفضلاً عن أنها أنهار من البيرة، إلا أنني رأيت ثلاثة
أشخاص فقط «مسطولين» في بون وبرلين!! (تقيم الشرطة كمائن
في الطرق وتوقف بعض السيارات لإجراء اختبار فوري لكشف
تناول أصحابها للبيرة.. وتسحب الرخص فوراً إذا كان السائق
قد تجاوز الحد المسموح به للشرب أثناء القيادة.. وبالطبع لا
يستطيع أي ضابط «معرفة» أو جار مهم إعادة رخصتك من
الكمين على الطريقة المصرية).

هذا المجتمع الذي يشرب ألف نوع من البيرة، غير مسطول
على الإطلاق، بل هو نفسه المجتمع الذي يبنى ويزرع ويصنع...
ويتحد!!

ليست هذه دعوة لشرب البيرة طبعاً.. لكنها دعوة للتفكير في
الحكم على الشكليات.. فالتقدم يأتي بالعلم والعمل، ثم بعد ذلك
(بعد ذلك بكثير) يأتي السلوك الشخصي!!

لا أتمنى لمصر أن يكون مشروبها الوطني البيرة كي تصبح
مثل ألمانيا.. ولا أن يقبل فتيانها فتياتها في الشوارع علناً
وبحرارة طازجة!!

لا أتمنى ذلك أبداً.. فضلاً عن أنه لن يحدث، لكن أيضاً لن

تصبح مصر بلداً صناعياً وعملانياً اقتصادياً بإطلاق الحياة
وإرتداء الثياب (!!)

فهذا كله لا يوقر في القلب.. هذا كله محض شكل (حسابه
عند الله) لكن العمل والعلم (ولست في حاجة الى شرح مستفيض
في موقف الإسلام العظيم الداعي للعلم والعمل!!) هما السبيل
الوحيد لتكون دولة.. ثم دولة عظيمة..

عندما وصلنا «يون» أولى محطاتنا في ألمانيا، كانت الساعة
قد تجاوزت العاشرة مساءً، وكان الأتوبيس يخوض بقا في
شوارع المدينة، شوارع ساكنة ساكنة.

كان حظر التجول مفروضاً على المدينة، هدوء ليلي مريع
متشابك مع ظلال الخضرة تحت الأضواء الحانية، وكان شعور
يغمس نفسه في جلدي اننا أمام «ماكيت» مدينة، أو انها ديكور
مدينة في استديو سينمائي أمريكي!!

أين البشر؟!

حتى إنه اذا لاح شخص واحد من بعيد في شارع صرخنا
جميعاً - ركاب الأتوبيس -

- هيه.. فيه بني آدم هناك!!

وصفقتنا وهللنا..

هذه هي ألمانيا.. النوم من السادسة بمجرد وصول عقرب

الساعات الى الدقيقة الستين، من الساعة السادسة، فمعنى ذلك
أن المحلات تغلق. أما المدن فتستسلم لهدوء مدو.
واكن الألمان لا ينامون في السادسة تماماً..
ربما في السابعة تقريباً!!..

وقد عدت من برلين وهي تستيقظ من نومها لإستقبال شيخ
طريقة شاذلية....

الشيخ كان في جولة أوروبية. زار فيها الآلاف من مربيه
وأبناء طريقته في عواصم الغرب، باريس وجنيف، ثم برلين ومنها
إلى عواصم أخرى.

في برلين.. كان الإستعداد على قدم وساق. فمئذ فترة تم
تجميع التبرعات المالية من أبناء الطريقة في برلين، فالشيخ في
جولته الأوروبية يسافر ويقيم على حسابهم.

أبناء الطريقة الصوفية في برلين. اشترى شقة مساحتها ٢٠٠
متر في أحد الأحياء المزدهمة وأعدوها مسجداً للطريقة وفرشوها
بأحدث وأجمل السجاجيد واستعدوا كي يفتتحها الشيخ.
ويقال إن عمر عبدالرحمن قد يأتي أيضاً الى برلين.

أول من سافر الى ألمانيا.. من هنا، من مصر..

كان مجموعة من الطلبة الذين أوقدهم جمال عبدالناصر عام
١٩٥٨ ضمن بعثة علمية للمعهد الفني الصناعي..

لكن معظم هؤلاء أقاموا في برلين وحصلوا بعد سنوات على

الجنسية الألمانية..

السنوات نفسها كانت كافية كي يرسل عبدالناصر فوجاً ثانياً
من الطلبة لنفس الغرض..

وبنفس الطريقة.. لم يرجع هؤلاء الى مصر.. وأقاموا هناك..
وتجنسوا بالألمانية..

هل لهذا الرجوع التاريخي أي دلالة.. أو أي هدف؟
ربما لا شيء أكثر من أن بوابة برلين القديمة كانت مفتوحة
منذ زمن طويل للعرب والأجانب.

هذه البوابة التي أدخلت تحتها حوالي ٣ ملايين تركي يقيمون
الآن في ألمانيا (بكل مدنها وبلداتها) بل ويقيمون حياً كاملاً داخل
برلين يحمل اسمهم «الحي التركي» يظل مستيقظاً طوال الليل،
واستطاع أن يفرض علي عالم الأطعمة الألمانية وجود لحوم
مذبوحة على الشريعة الإسلامية.

لكن الأتراك غير المصريين!!

فإذا كان الأتراك قد زحفوا الى ألمانيا عقب الحرب العالمية
الثانية، حين كانت البيوت مهدمة (والناس كذلك)،.. وكان كل
حلمهم أن يقيموا سنوات في ألمانيا، بعدها يعودون الى تركيا
لشراء شقة أو بناء بيت،

فالمصريون معظمهم (أقول معظمهم) خرجوا من مصر الى

المانيا بحثا عن حياة طويلة هناك... كما ان معظمهم بحثوا عن البيت الآمن، وعن بطاقة الهوية الألمانية (!).

وعن جواز السفر...

والآن...

في المانيا (ولغة الأرقام لغة ألمانية أصيلة) وصل عدد المصريين الى ١٤ ألفاً منهم أربعة آلاف في برلين العاصمة.

ويمتلك المصريون داخل برلين فقط - وعلى سبيل المثال - ٥٠ مطعماً (ليست كلها مطاعم فول وطعمية).

و١٤ صيدلية.

و٣٤ مسجداً...

مساجد برلين ليست مساجد بالمعنى المعماري المتعارف عليه في مصر، بل هي عبارة عن شقق واسعة جداً أو طابق من عمارة مقروش بالسجاجيد وملحق به مكتبة صغيرة ومزود بتكنولوجيا الصوتيات (ميكروفونات، سماعات، ستريو).

على أرض أحد هذه المساجد جرت معركة أهلية سريعة بين التنظيمات الاسلامية التي تحكم عرب المانيا (ومصرييها)، حتى ان زعيم تنظيم منهم هدد بأن يجعل الدم «للركب» لو لم ينضم المسجد الى تنظيمه.

لكن ماهي هذه التنظيمات؟ ١٩١٩

عملياً فإن الإخوان المسلمين أول تنظيم اسلامي يغزو المانيا،
وتمركزهم الاساسي في مدينة ميونخ وتكاد سيطرتهم على المركز
الاسلامي بميونخ تكون تامة.

فضلاً على بعض النفوذ (قل أو أكثر) على ١٣ مركزاً اسلامياً
اخرى تحت سيطرة العرب في مدن المانية (أشهرها في برلين
واخن)، كما يملكون النسبة الأعلى من المساجد الالمانية.

والإخوان، بدأوا منذ الستينيات هذا الزحف الالمانى (لا
أستطيع الجزم بأن التنظيم الدولي للإخوان المسلمين مركزه
ألمانيا وإن كنت لا أستطيع أن أنفي أيضاً).

ويتميز الأخوان في المانيا بقدرتهم التنظيمية الصارمة وثراء
أعضائهم وكبر أعمارهم وتمكنهم من التجنيد البطيء والمنظم،
ولكنهم يتمتعون بكراهية من قبل التنظيمات المتطرفة الجديدة.

من أشهر هذه التنظيمات تشدداً هم اتباع الحبشي الذين
كفروا ابن تيمية وسيد قطب (الذين كفروا الجميع بدورهم)، وإذا
كان المصريون النسبة الأقل في هذا التنظيم العربي، إلا أنهم
مؤثرون ومتشددون جداً وشباب أيضاً (!!)

وهناك كذلك «حزب التحرير» الذي يسيطر عليه الأردنيون،
لكن تظل مشاركة المصريين خاضعة وواسعة، ويصبح تكفير

النظام المصري من أولويات الخطب المنبرية!!

يبقى أيضاً تنظيم «الطلیعة» لصاحبه عصام العطار وهو تنظيم سوري - فلسطيني - مصري يعتمد على الشباب ويتمتع بقدرات تنظيمية عالية.

وقوام كل المجموعات والتنظيمات المتطرفة، باستثناء الإخوان المسلمين، يعتمد على الجيل الجديد الشاب من المهاجرين، كما يتركز على أصحاب الأعمال الحرة (غير المرتبطين بالحكومة الألمانية أو التنظيمات العمالية أو المشروعات الرسمية)، كذلك لا يتجاوز أعضاء أحد التنظيمات مائة فرد، لكن يعوض قلة العدد، سرعة العمل ونشاط الحركة، بينما تنظميات أخرى ينضم إليها المئات (ومعظمهم أسر عربية بالكامل)، أما الآلاف فهم الجمهور المتعاطف والأغلبية الصامتة التي ترتاد المساجد وتستمع للخطب، وتبقى أهم وسائل التجنيد أو الانحياز للتنظيمات، اللقاءات الشخصية والمحاضرات الأسبوعية ودروس المسجد وشرائط الكاسيت وكتب التنظيم.

وتمثل تبرعات الأعضاء التي تبدأ بالمئات وتنتهي بالآلاف، أهم بنود الدعم المالي للتنظيمات التي تستطيع غسيل دماغ الأعضاء، وإثارة حاستهم الدينية واستثارة غريبتهم وإسلامهم ضد مظاهر الحياة الأوروبية، والدفع بقضية الأهل والأبناء الذين إذا تركوا على غير عادات وقيم آبائهم لانحرفوا وانفلتوا، مما يستدعي

مشاركة مالية ضخمة من الأسر المصرية والعربية لبناء المساجد، ودعم الجماعات، لكنها سرعان ما تستخدم في مآسٍ سياسية وانحرافات مالية طائلة، لكن أكثر ما يردده العرب في ألمانيا شيوعاً هو التمويل الرسمي من دول عربية نقطية تشهد تردداً دائماً من بعض قيادات وتنظيمات التطرف الإسلامي في ألمانيا، كما يشهد موسم الحج حضوراً ألمانياً كثيفاً ولقاءات برموز مؤسسات نقطية مالية كانت وراء الدعم المالي لمن أطلق عليهم مجاهدو أفغانستان.

وهما يعطي للكارثة أبعادها الحقيقية، فإن المتشددین والمتطرفين العرب في ألمانيا، يخوضون حرباً على منابرهم وفي خطبهم وبياناتهم وتجمعاتهم العائلية ضد المسلمين الألمان (٨٠٠) ألماني أعلنوا إسلامهم في برلين وحدها خلال السنوات السابقة) ويتهمونهم بصراحة ووضوح بالعمالة للحكومة الألمانية وانهم جواسيس «كول» على الإسلام (١١)

المعلومات التي حصلت عليها من خلال زيارة خمس مدن ألمانية أكدت لي أن ألمانيا هي أكثر الدول الأوروبية استعداداً لخلافة نيويورك نيوجيرسي في استضافة ظاهرة التطرف الإسلامي.

بل إنها كانت أسما وارداً لاستقبال عمر عبدالرحمن زعيم المتطرفين ومفتي التكفير يوم كانت أسماء العواصم الأوروبية

تتكاثر استعدادها لاستقباله في حالة طرده من أمريكا (!!).

لكن يبقى السؤال الموجه عن ظاهرة المتطرفين المسلمين في الغرب!!

وهي ظاهرة بكل ما تحمل الكلمة من مرادفات وإيحاءات ومعان، ظاهرة لها أبعادها وأطوالها وأعراضها، ظاهرة لها شكلها ومضمونها وأنصارها ورجالها!! ونساؤها.

إن بعض التفسيرات التي تكتسب مصداقية لدى تحليل هذه الظاهرة، تؤكد أن المسلمين يواجهون تحدياً حضارياً وغريباً في دول أوروبا يستدعي إستنفار كل الحواس والمشاعر الدينية داخلهم.

إنهم يلتفتون فيجدون نساء نصف عرايا وفتيات تتخلصن من غششاء البكارة تحت بصر أهلهم. وشباب يرتدون «حلقان» في أذانهم، وشذوذاً جنسياً متاحاً وموجوداً وأفلاماً متخصصة في الجنس ليلة الأحد في التليفزيون، وشارع بغاء في قلب المدن وبيرة مشروباً قومياً وخموراً برخص التراب...و....

ولهذا لا يجد المواطن العربي المسلم سوى دينه لمقاومة كل ذلك، ثم سرعان ما يتحول دينه بكل طقوسه وشعائره سياجاً وقفصاً يحميه، ثم سرعان ما يتحول أكثر وأسرع إلى حصن يقاوم به كل ما حوله ويهرب فيه مما يحيطه ويفر به مما يحاصره.

لكن هذا التفسير يظل قاصراً على شرح هذا اللفظ (تطرف المسلمين في قلب عالم الغرب).

فالحقيقة أن الغرب - وكل ما قلناه عن شوارع الجنس وغشاء البكارة والشذوذ الحقيقي - لكن أليس تافهاً وسطحياً أن يكون الغرب هكذا فقط.

الغرب نفسه الذي يتشدد العربي ويكفره!! هو الذي فتح أبوابه للمسلمين وعاملهم معاملة أفضل مما يعامل به البعض في بلدانهم (الاسلامية)، وأتاح لهم فرص العمل والنجاح وامتلاك المحلات والشركات، وحول فقراهم الى مليونيرات، وأتاح لأولادهم أعظم فرص التعليم الحقيقي وأمتعهم بالتكنولوجيا وأعطاهم جوازات سفره وحماهم بالقانون، بل وترك لهم حرية واسعة غير محدودة للدعوة للإسلام، بل وتركهم يدخلون المنشآت والآلاف من أبناء الغرب الى الاسلام، دونما اتهام لأحد بكفر أو معصية أو مخالفة قانون (!!)..

والغرب أيضاً هو الذي جعل من حرية العبادة لله والسب للغرب أمراً متاحاً جداً، وهو أيضاً الذي ترك آلاف النساء من العربيات المسلمات يلبسن الحجاب والنقاب في شوارع مدته وعواصمه، كما لم يضرب أحداً من أبناء المسلمين لأنه تجرأ على أن يصلي في حديقة بأحد ميادينه (!!)..

الغرب به بعض الفسق (مثل الشرق أيضاً)، وله بعض القيم المخالفة لنا (ولنا ما نخالفه)، لكن بكل ما أعطاه للمواطن المسلم المقيم في بلاده (أنا لا دخل لي الآن بموقف حكومات الغرب من الدول العربية والإسلامية، فلهذا موضوع آخر) بكل ما أعطاه الغرب للمسلمين.. هل يستحق منهم أن يكفروه (!!) وإذا كان المواطن (م ب) قد خرج من مصر غاضباً عليها ناقماً منها (وهو حر)، وسافر لأوروبا (فاختار ألمانيا)، وتسكع في شوارعها وعمل في مهنتها وحصل على ماله وتزوج من بناتها وتمكن من الجنسية الألمانية، وأمتلك محلاً وثانياً وثالثاً وصار صاحب سيارتين، وله أبناء يتعلمون في المدارس مجاناً (التعليم هناك مجاني في كل مراحل)، وأستطاع أن يحافظ على لغتهم العربية وحفظهم للقرآن الكريم، ويرتاد المسجد ويتبرع لبناء مسجد آخر، ويزود المكتبة بكتب سيد قطب وسيد سابق، ويدعو للإسلام وأدخل أقارب زوجته في الدين الإسلامي.. كل هذا ولم يمس الألمان شعرة من شعر ذقنه، كل هذا وأكثر ولا أحد يقف في طريقه أو طريق سيارته.. ثم بعد ذلك كله يقول إن الغرب كافر وألمانيا كافرة والألمان كفرة.. من يكون ساعتها المتعصب!! من يكون ساعتها العنصري!!.. الألمان أم السيد م. ب!!؟

لكنهم سيقولون: ما كل هذا التحامل من هذا الكاتب صاحب الغرض غير الشريف المنبهر بالغرب، المحارب للإسلام، ما كل

هذا التحامل، ألم ير في الأيام التي قضاها بألمانيا (وجاء منها
ليحكم علينا ويتهمنا هذه الاتهامات)، ألم ير النازيين الجدد،
العنصريين في ألمانيا؟

وأقول.. لا.. لم أر!

ألا يريدون الحقيقة، إن المظاهرة الوحيدة التي رأيتها في
ألمانيا (وفي هامبورج تحديداً)، كانت تضم الآلاف.. وكانت ضد
النازية والنازيين الجدد!

ثم إنه كلام آخر..

فالفقر والسوء والتواضع وما يذكر فوراً بمدن مصرية - طيبة
ومجتهدة.. وفقيرة.. هذا أهم ما يميز ما تبقى من برلين الشرقية
تحديداً، باستثناء المباني الأثرية والكنائس القديمة، فلا أكثر من
الإشترابية.

هذا ليس موقفاً معادياً للإشترابية ولا حتى لألمانيا الشرقية،
فقد دافعت ألمانيا الشرقية (يوم كانت دولة) عن القضية
الفلسطينية (يوم كانت قضية) وعن الحقوق العربية ودعمت وأيدت
مصر وغيرها في أشياء كثيرة تصل إلى حد «الفضل» و«الجمائل»
السياسية، لكن ذلك لا ينفي ما نراه بأعيننا هناك (أو فيما تبقى
منها).

ما تبقى من برلين الشرقية.. يغنى!

بعض اماكن محدودة جدا بها احد السوريين (كان هناك سوران لبرلين وليس سوراً واحداً، يفصل بينهما عدة أمتار في المنطقة المسموح فيها بالقتل لأي هارب «طبعاً» من ألمانيا الشرقي) لقد «حسّطت» الحكومة الألمانية على طرافة التاريخ ومأساته و«سخرته» فوضعت أسلاكاً شائكة حول ما أبقى عليه السياح من سورين برلين، بينما زال أثره وعادت البيوت المتصمة إلى سابق وحدتها.

ماتبقى من برلين الشرقية أيضاً بدأ طريقاً عاجلاً للفناء فالطرق اليها يعاد تعبيدها ورصيفها والبيوت في بعضها يعاد بناؤها ويسرق بصرك في أحد أحياء برلين، هذا المبنى الضخم الذي تنتظر إليه فقراء باهتاً، نوافذه وشرفاته ولونه، ثم سرعان ما تكتشف ان هذا كله لوحة قماشية مرسومة بدقة شديدة للشكل الذي سيكون عليه هذا المبنى بمجرد اكتماله (وخلف هذه اللوحة تعمل المعدات والاوناش وفرق المهندسين والعمال).

وهكذا بالضبط ترى برلين الموحدة.. انها لوحة (باهتة قليلاً) لعاصمة متألثة قادمة.

من بين هذه الألوان الباهتة في برلين، التحذير من النازيين الجدد، من العنصريين وحوادث السرقة، ورغم أنني كنت أتمنى أن تحدث لي حادثة سرقة في برلين حتى أكون في نصف قامة

وأهمية يوسف ادريس (تعرض يوسف ادريس لسرقة في نيويورك وكتب عنها مقالا بديعا) إلا أنه من الواضح أن القدر يريدني مثل يوسف ادريس تماما وأجل لي حادثة السرقة مثله حتى نيويورك (..) وبعيدا عن هذه الأمنية (الغالية) فإنه بالفعل.. كان هناك خوف ما من تعرض النازيين لي، لكن الحقيقة أن شيئا لم يحدث، لقد كان شعوري هو نفسه شعور السياح الأجانب الذين يستمعون الى نشرات الاخبار في بلادهم ويرون حوادث العنف وقتل السياح في مصر فيتصورون انهم لو جاؤا الى القاهرة لقتلوا بالرصاص في وسط البلد.. لكن لا احد يقتل احدا في وسط البلد (..) ولا النازيون يقتلون الاجانب في الشوارع ، انها ظاهرة ألمانية وغربية بحته لكن ماهي هذه الظاهرة؟

إنها الاهتمام الكثيف الرهيب بكل حوادث (مهما كانت تافهة) قد تشغل الرأي العام أو تثير اهتمام الجماهير، كما أنه منهج غربي تماما، ذلك الذي يتعامل إعلاميا مع أي شيء يمس ولو شخصا واحدا باعتباره قضية هامة تبت على الهواء مباشرة، بنفس الإهتمام الذي تجري فيه كاميرات التلفزيون لتصوير سقوط طفلة في البوابة مجاري واستضافة أهلها للبكاء امام شاشة التلفزيون، فإنهم يسرعون لتغطية حوادث التظاهر أو التعدي على الاجانب حتى لو كان شيئا هامشيا صغيرا، فضلا عن أن ذلك أيضا حرص إعلامي وسياسي لاشك في إخلاصه

على تقديم كل عورات وعيوب المجتمع بلا مداراة، لأن ذلك هو الطريق الوحيد لإصلاح العورات وليس الرقابة والتعمية والبيانات المبهمة.

لاجل ذلك كله تظن أنك ستموت في ألمانيا إذا سرت وحدك!

ولاجل ذلك كله لا تموت في ألمانيا إذا سرت وحدك؟

هل معنى ذلك أن ألمانيا خالية من المتطرفين العنصريين النازيين؟

من المؤكد أن الانحسار لا.. بل أن عددهم تزايد منذ سنوات، فإذا كانت الأسباب التي تقدم لنا هناك لتفسير هذه الظاهرة بأن وراءها البطالة (دعني أقول لك أن العاطلين هناك يحصلون على إعانات بطالة مالية شهرية.. وكافية أحيانا) وأن وراءها الضواحي العصابية العشوائية (نموذج متكرر في مصر أيضا).

فانهم يضيفون إلى هذه الأسباب أيضا انضمام أبناء زعامات وقيادات وطبقة الحزب الشيوعي التي كانت تحكم ألمانيا الشرقية ثم ضمرت وانتسخت وجلست في البيت والسجن وانهارت إمتيازاتها وأموالها.. مما دفع أبناءها - بعض أبنائها - لتعصب وتطرف (!)

إلا إن ذلك كله يسمح لنا بأكثر من نظرة:

١ - العنصرية هناك عنصرية قومية (الحزب النازي كان اسمه

الحزب الوطني الألماني) لا يعمل أي شعائر دينية ولا يفصل بين الناس بالدين، لكن بالجنس والجنسية وهو يساوي - في صورة أكبر قليلا - تعصب بعض الأخوة العرب في معاملة بعض الأخوة العرب (١٠) الآخرين الذين سافروا الى دول النفط وهناك لقوا معاملة فوقية سميتها الإستعلاء (عن جبول) والإضطهاد (عن تعصب) وتصل أحيانا الى العنف البدني ولا يمارس ذلك بعض (شبان) النفط (حليقي الرأس)!! بل أيضا «شيوخ» كبار بل كذلك حكومات دول (لا يزال قتل المصريين في العراق ماثلا للأذهان أو معتنعا عن النسيان وظاهرة الكفيل في السعودية والكريت أسود صفحات في تاريخ العلاقات المصرية العربية

٢ - التعصب أو التطرف الألماني يظل تطرف قلة حقا وجماعات معظمها من الشبان بينما لم يفلح في التغلغل لشرائح وطبقات المجتمع الألماني، ولم تتسبب أشكاله ومظاهره أنحاء البلاد مثلما سادت أشكال ومظاهر التطرف (عندنا) أنحاء البلاد (عندنا)، أعني أن التعامل مع المتطرفين الألمان تعامل مع عصابة أو عصابات من النازيين، وليس تعامل مع تيار فكري متغلغل ومتسلل الى كل «مناصب» الدولة وهيئاتها أو يدفع الحكومة - مثلا - الى «وساطة» أو «حوار» معه.

٢ - ثم ان مواجهته ليست مواجهة حكومة فقط، فليس مهمة

بخاصة للأمن هناك، بقدر ما هي مواجهة حضارية شاملة،
مواجهة يخوضها المجتمع ، وليست الحكومة وحدها
وشرطتها بعفريدها، مجتمع يدافع عن نفسه ضد عاره وهذا
ما يعبر عن نفسه في مظاهرات عارمة عديدة ضد النازية
ومن رفض جماهيري متسع ويتسع للعنصرية وعن تحركات
لا تتوقف من الأحزاب والجمعيات وشرائح المجتمع كله
لمواجهته.

هذا غارق - او فروق - لابد أن تكون واضحة عندما نبرر
لأنفسنا انتشار التطرف لدينا بانتشاره في أوروبا أو ألمانيا
تحديداً.

ثم يبقى أيضا - مع كل ذلك - أن لكل مجتمع مبرراته وظروفه
وملابساته وكل حضارة أمراضها والتي قد يصل مرض بها الى
حد الوباء أحيانا.

إن السير في برلين أمن على الأقل لمدة أسبوعين! هذه
العاصمة الجديدة التي ستتسلم مهابتها كاملة من بون عام
١٩٩٨، بون تلك الموظفة الحسنة والقرية الجميلة الحاملة للنائمة
في أحضان بيت بيتهوفن وتماثيله التي تحتل إحداها ميدانا امام
مصلحة البريد في بون يجلس الأطفال تحته ويجرون حوله وهي
نفسها التي تتعامل مع بيت عمدها القديم على أنه حدث تاريخي

وأفر يستحق الزيارة والتأمل حين الجلوس على مقهى صغير أمامه والسؤال كيف يمكن الدنيا أن تدور؟ وتصيح بون هذه القرية المدينة التي لم يخطر على بالها أبدا أن تكون عاصمة، تصبح عاصمة (!) حتى أنهم - في ظل حمى البحث عن مقومات العاصمة - لم يجدوا مقرا للبرلمان والنواب الشعب وأعضاء الأمة، فسارعوا بتحويل محطة مياه قديمة في بون (بما فيها من قاعة غير متسعة ولا تمثل ربع مساحة قاعة مجلس الشعب المصري) إلى برلمان.

هذه المحطة نفسها التي صارت برلمانا أغرقتها مياه نهر الراين التي تطل عليه، وافسدت اسقف البرلمان المحطمة، وبذلوا جهدا سريعا ومتلاحقا لإتقاذ مبنى البرلمان الذي وجدوه بالعافية. وعلى ذكر البرلمان، فالزيارة التي يحرص على إعدادها الألمان لأي فوج سياحي في بون، هي زيارة مقر البرلمان، لكن شيئا من البرلمان لم يلفت انتباهي بقدر المرشدة التي استقبلتنا للتعريف بالمكان، أنها مواطنة من الأرجنتين متزوجة مواطنا من بولندا يعيشان في ألمانيا (١٠)

والحقيقة أنه كلما خطوت قدما في شارع هناك وجدت أمما متحدة!!

إن ألمانيا معبأة بالأجانب، لقد دخلت مطعما وتلعثمت في السؤال عن الطعام وخلوه من لحم الخنزير فوجدت الجرسون

الأسمر يبتسم ويقول لي: حضرتك مصري، ثم عرفت أنه من الصومال واسمه حمزة، رسالته هل أنت من مؤيدي عبيد فأبتسم وقال: إنه من شمال الصومال (..) ويعد فترة عدت لحمزة في وقفته نفسها فاذا بهذا الشخص يقول لي انا لست حمزة، أنا عابد زميل حمزة من الصومال أيضا.

بعد دقائق اكتشفت أن المطعم يعمل به أكثر من عشرين صوماليا.

وحيثما تشكو من إرتفاع الاسعار في محل، تجد صوتا وراءك ويبدأ تلمس كتفك.

المحل دا غالي روح المحل اللي قدامنا، وتلفتت فيقول لك حضرتك مصري، أصل أنا لبناني، ثم ترى شخصا مابرا في الميدان ممسكا بصحيفة مصرية فترفع أنت الصحيفة المصرية التي في يدك وتبتسمان - بصرة.. ثم ترحلان، وعندما ذهبنا الى مطعم بيتزا، كان اندرياس (المرشد الالمانى النشط والمتدقق حبا لعمله) فخورا بأنه أتى بنا لمطعم ايطالي متخصص في البيتزا، لكنك تكتشف بعد دقيقة واحدة مع ذهول اندرياس، أن أصحاب المطعم فلسطينيون وأنه لا علاقة لهم بإيطاليا، وهم أشقاء أربعة يملكون ويعملون في المحل وفي نهاية المائدة دار صراع بينهم حول من أهم ممثل كوميدى عربى قديم حسن فايق أم عبدالسلام النابلسي (وطبعاً لم أخف انحيازي للثاني).

وامام كاتدرائية كولون تفرش عشرات النساء الكرديات خيما
ومعارض تندد بالعدوان التركي على الاكراد (..) ويرقصن ويغنين
ويصورن بكاميرا الفيديو وعلى مقربة منهن معرض للتضامن مع
«البوسنة».. كذلك عشرات الناس الذين يقتربون حتى أطراف
جيبك ويشحطون بأسم البوسنة.

فضلا عن تلك الشابة الألمانية التي وقفت على الرصيف
تعرض كتبها عن مأساة البوسنة والهرسك وأعطت درسا لنا
وخطبة حارة من فوق الرصيف، للدفاع عن حقوق المسلمين في
البوسنة وهاجمت كثيرا عنصرية الصرب.

حتى الذي لاتجده في النهاية أجنبيا عن المانيا او عربيا..
ستجده مثل جرسون الكافيتيريا الذي ضحك عندما رأنا نتكلم
العربية سألناه: هل انت عربي؟

لم يفهم لكنه أضاف من عنده أنا متزوج من مغربية وأعرف
عربي لا بأس.. لا بأس..

حتى أننا قررنا - بعد كل من صادفتهم عربيا وأجانب - أن
نعانق أول الماني نراه في الشارع ونقول له:
- حضرتك ألماني يا أهلا بك في وطنك الثاني ألمانيا..

رابعاً : حرق الدم ♦♦ السياسي

١ — كلينتون

٢ — يلتسين

٣ — عبد الناصر

٤ — الزعماء العرب

رابعاً

کلیتوں

كليتوتون*

سيدي الرئيس الأمريكي بيل
كلينتوتون...

وأنت تصعد - اليوم - الى
منصة حكم الولايات المتحدة

الأمريكية، وتنقل لنا آلاف الشاشات، آلاف التفاصيل الدقيقة
لمراسم تعميدهم رئيساً أمريكياً.. أكتب لك.

لقد كان شعاركم المرفوع طيلة النحيب الانتخابي في واشنطن
«الاهتمام بالناس أولاً» وقد استمعت (وربما استمعت) بالتهاني
والكلمات المفخمة التي تلقيتها من الرؤساء العرب والأمراء والملوك
قطعا (..) وصار ضروريا أن تسمع - كما سمعت - صوت الناس
هنا اذا كنت مصراً على شعارك بأن الناس أولاً.

والناس هنا ياسيادة الرئيس يرونك - الي جانب وسامتك
وشبابك - رجلاً قادراً على التغيير في جهات الأرض الأربعة (واذا
أردت أن تكون جهات خمسة فمن الممكن أن تفعل وقد يصدق

* كتبت في ٢٠ يناير ١٩٩٢

الكثيرون خاصة عندنا) ولذلك فنحن مهتمون بك وبما تفعل وتتابع حديثك وكلامك (وقبلهما صورك) وقد قرأنا ما قلت في «رؤية لتغير أمريكا» وتوجهت بها للشعب الأمريكي الذي أيدك وانتخبك، لكنني اندمشت أيضا لأنك - يا للغرابة - تريد ما نريده نحن لدينا، بينما تحاول أن تنفذ في ولاياتك ما أردت، تمنع عنا ما نريد وتدفعنا الي ما نرفضه ونخشاه.

أقصد - سيدي الرئيس - الناس الغالبا الذين قصدهم أنت والعجيب أن كل ما طرحته في «رؤيتك» انما يصب لصالح الفقراء ضد الأغنياء، لكننا نسألك لماذا يؤيدك أغنياؤنا فقط ويرفضك فقراؤنا؟

أنت تقول «أن حكومتنا على ما نريد على عقد من الزمان مهياة للعمل لصالح الأغنياء والمصالح الخاصة وفي حين يزداد أكثر الأمريكيين ثراء غني فإن الإمبريكيين من أبناء الطبقة المتوسطة يدفعون ضرائب أكثر لحكومتهم ويحصلون على الأقل مقابلها....» وعلى مدى اثني عشر عاما كانت الفكرة المحركة وراء السياسة الاقتصادية الأمريكية هي تخفيض الضرائب على أغني الأفراد والشركات بأمل أن تقطر ثرواتهم الجديدة على بقيتنا، وقد فشلت هذه السياسة.

انت اذن تبحث عن الفقراء لديك.. بينما الحكومة الأمريكية - أيا ماكانت تسعى وراء الفقراء في العالم الثالث فتلهب ظهورهم

بمستودق النقد الدولي والبنك الدولي وقرارات مجلس الأمن وهي كلها لافتات خشبية تقف وراءها أعمدة حديد أمريكي، إنك تجري لأجل شعبك الفقير بينما نحن نجري أمام اغنيائنا الذين يحبونك ويمدحونك وينامون وصورة أمريكا تحت الوسادة وعلم أمريكا ملاءمة مفروشة فوقهم، إنك تبحث عن العدالة الضريبية وأقراض الطلبة لإستكمال تعليمهم وتوفير رعاية صحية وإتخاذ إجراءات صارمة إزاء شركات صناعة الأدوية وشركات التأمين والقضاء على الإنفاق التيزيري والحد من نفوذ المصالح الخاصة وإن توقف ما اعتاده موظفو البيت الأبيض (كما تقول) أن يحملوا دافعي الضرائب تكاليف نزهة يقومون بها للعب الجولف أو المزايدة على الطوايع النادرة وتقف أمام الخبراء الذين قلت عنهم « نجد واحداً من كل اثنين من كبار موظفي وزارة التجارة الأمريكية قد تعاقد للعمل لدى دول سوف يواجهها ذات يوم عبر مائدة المفاوضات ونحن ياسيدي - كل من ففاوضكم منا عمل عندكم.. أو لديكم أولكم!!

كل هذا لدينا وأفصح وأفدح

ولديكم من يقول ولكن لا لدينا من يقول ولا من يسمع

بذلك أمريكا كما تريد أيها الرئيس

لكن دعنا أيضاً نبذل أوطاننا

أنت تضع رأسك بين الرجل وزوجته في العالم الثالث ، إن

سياسة أمريكا لاتخدم أغنياءنا فقط لكنها تقتل فقراءنا وتعصف بهم، وأمريكا هي التي تسمي - وتحقق - الهيمنة على قرارنا السياسي وقررتنا الغذائي وأحلامنا الاقتصادية سياستكم تدفع أغنياءكم للسباحة في نهر المسيسيبي، وتدفع فقراءنا للبكاء دمعاً كنهر المسيسيبي (بالمنااسبة هل رأيت نهر النيل؟)

إنك عندما أطلت إلى الشرق الأوسط في رؤيتكم المقدمة للشعب الأمريكي تحدثت عن إسرائيل - واتقل عنها ماتشاء فانت الرئيس الأمريكي ونحن العرب رعايا رعاياك!!

لن نتحدث عن إسرائيل فلا معنى للكلام عنها معك، لكن ساعدتك فقط عن الديمقراطية والاستقرار الذي قلت عنها هدف السياسة الخارجية قلت « يجب أن نعزز الديمقراطية في الشرق الأوسط في مختلف أرجاء العالم» إن إدارة كلينتون لن تقيم علاقات استراتيجية مع نظم الحكم الخطيرة والاستبدادية».

لا أظن أنك أصبت بقدر ما أصبت في الحديث عن الديمقراطية وأنظمة الحكم الاستبدادية وأنت الذي تملك البيت الأبيض - وأي بيت أبيض أو أحمر أو أسود في العالم كله - وملك الأمم المتحدة وغير المتحدة.

إذن اترك أرض العالم الثالث .. إرحل عنا بسياساتك ومخابرانك بنفايات أمريكا النووية المدقونة في صحرائنا ..

واشعرتها الذورية المدفونة في جوفتنا، بعمليتكم السرية والعنيفة،
بالشررات التي تذهب إلى بطن الشركات الأمريكية (التي لا تدفع
خسراؤكم)، ارحل عن الارض التي يسكن فيها المفسدون
الأمريكان بأوامرهم وتعليماتهم... وحضوهم مفسدون
الإستقبال (٠٠)

نحن نريد أن نستمتع بخطبك عن حقوق الانسان وأفلام كيفين
كوبستون وأصدقاءها ككتبه آرثر ميللر وأخبر نتائج «سبارايات
البيدسبول» لكندا لأنستطيع أن نفعل ذلك كله وحالات الطائرات
الأمريكية تركب فوق وسائدنا وطلبات صندوق النقد تشعل النار
في سلاطيننا الداخلية.

سيدي الرئيس، تريدها ديمقراطية، لكن هل تسمح لمقاعد
الحكام التي تجلس فوق أعناق العالم الثالث أن تدع الشعب حراً،
وفي أول خطوات حريته سيرفض سياسة أمريكا!!

أم ستظل حريصاً على هؤلاء تدافع عنهم وتدفع لهم أحياناً
وتحذوهم أجهزة مخابراتك تساندتهم سفاراتك (عندما أمر أمام
مبنى السفارة الأمريكية أشعر بخوف ورهبة ولا أستطيع أن أبلغ
أبداً أن هذا المكان ينتمي الى جوليا روبرتس وميشيل فيفرا)

أيها الرئيس الأمريكي

لقد سمعنا لك وسنسمع طيلة السنوات القادمة، لكن هل

ستسمعنا أنت دقائق في كل هذه السنوات،
حتى إذا سمعت، لا أظن أننا سنحصل على أكثر من
إبتسامتك السينمائية.
وسلم لي على مدام هيلاري الرائعة.

یلتسین

يلتسين

ليس هناك أسوأ مما حدث
في موسكو سوى ما قيل عنه
في مصر
ما حدث في روسيا يخص

أهل روسيا

تعالوا نحن إلى ما يخصنا.

لاينفع بأي حال أن ندافع عن الديمقراطية بعد الإفطار ثم
ندفعها إلى الفرن على العشاء أو نطالب بالديمقراطية في مصر
ونطلب دمها في موسكو لاينفع هذا ولو فعله مصطفى أمين (الذي
لايحرمانا من مراقعات الديمقراطية كل يوم) وجمال بنوي (رئيس
تحرير صحيفة الوفد وهو الحزب صاحب التاريخ (التاريخ)
الليبرالي الطويل.

الأول كتب في عموده الشهير في الاخبار والثاني كتب في
إفتتاحية صحيفته كل منهما يبريء يلتسين من دماء القناتي

واشتصاب الديمقراطية (بما تبقى له من رجولة سياسية) ويحمل الشيوعية والشيوعيين مسئولية أنهار الدم وانهيار الحرية في موسكو والحرب الأهلية (المزمعة) والدمار الذي لحق ببيت البرلمان (الذي صار شبه بيت الأشباح في مدن الملاهي الراقية).

لقد وجد البعض (وهم كثير لكن لا شيء نعرف عنهم) فرصة لمص دم الشيوعية بمناسبة أحداث موسكو، والبسوا الحق بالباطل وغالطوا حتي كدنا نسأل هل فعلا الدفاع عن الديمقراطية يشبه محل تجارة التجزئة يمكن أن تباع ونشتري فيه - هكذا بلا رادع - مبدئيا لداعي لتكرار اتهامات سخيفة أننا شيوعيون ندافع عن أصدقائنا في موسكو فلا نحن شيوعيون ولا لنا أصدقاء في موسكو. أصدقائنا هم الديمقراطية والعدل والحقيقة وإذا كان اتهام أي مخالف للرأي بأنه شيوعي سهلا الي هذا الحد، فهناك إتهام مضاد أكثر سهولة وهو إتهام العمالة للغرب وأمريكا «الخ»!! لا داعي للإتهام الأول حيث أنه ليس أسهل من الإتهام الثاني ولنتترك ذلك ونبحث عن الحقيقة معا.

هناك مغالطات يجب فك الإشتباك - والاشتباه - فيها أولا ثم سنجد أنفسنا أمام الحقيقة وجها لوجه (ووجهها صبور فيما أظن)

منذ سنوات وفي ميدان السلام ببكين، وقف طالب جامعي

أمام دبابة دخلت الي الميدان فمات، فصار بطلا عالياً وشهيدا
لديمقراطية (وأنا أعتبره كذلك أيضا) وانتفض العالم الغربي -
وتحن ومصطفى امين وجمال بسوي من ورائه .. نرفض ديكتاتورية
الصين وأي ديكتاتورية أخرى، والتقي الرئيس الامريكي يومها
بالطلبة الصينين وصارت قضية الديمقراطية في الصين هي
الموضحة التي تنافس النينجا تيرتس وعودة الديناصورات(!!)
الآن .. بعد هذه السنوات يهتف العالم الغربي - وبعضنا من ورائه
- لنفس هذه الدبابة التي دخلت البرلمان الروسي لماذا؟ وكيف؟

إذا كانت العودة للوراء هي سمة الحياة المصرية والأفكار
المصرية، فقد فعلناها الآن .. ولكننا نضيف دأب البعض (الذي
قلنا أنه كثير) على إعبتار حسب اللاتوف وروتسكوي
وإنتفاضتهما شيوعية تماما وأنها محاولة من الشيوعيين للعودة
للحكم والسيطرة على البلاد وأن هذا البرلمان شيوعي تم إنتخابه
حين كانت الشيوعية تسيطر على البلاد.

إنصافا للحقيقة - لأكثر - فعلى هؤلاء أن يتذكروا التالي:

١ - من كان رئيس هذا البرلمان منذ سنوات لم يكن سوي
يلتسين نفسه!! البرلمان الذي انتخب في فترة الشيوعية
وتحت ظلال الزيفون الشيوعي.

٢ - حين قام انقلاب اغسطس ٩١ ضد جورباتشوف وكان

انقلابا شيوعيا فاشلا(أعطي درسا في الفشل النموذجي) لم يتسب له سوى اثنين حسب اللائحة ثم.. يلتسين.

٣ - ليس خافيا على أحد - أو علينا على الأقل - ما نشرته الصحف الغربية (الغربية) أن يلتسين يوم إنقلاب أغسطس ١٩٩١ كان متوجها الى السفارة الامريكية ليطلب اللجوء السياسي وأن مصادفة واحدة غيرت تاريخه ومستقبله.. هذه المصادفة لم تكن سوى مقابله لحسب اللائحة رئيس البرلمان الذي خلفه بعد انتخاب يلتسين رئيس اروسيا ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي عندها تشجع يلتسين.. ثم كان ما كان.

٤ - أن حسب اللائحة ورتسكوي وغيرهما لو كانوا شيوعين حقا ويطالبون بإنقلاب عسكري شيوعي لم يكن عليهم الا تأييد ما حدث في أغسطس.. لكنهم أيدوا جورباتشوف وعاونوا يلتسين ثم جري ماجري.

٥ - أن هذا البرلمان لم يتم بإنتخابات مزورة وتعبئة للبطاقات الانتخابية، بل بإنتخاب حقيقي وأن ممثليه - مهما كانوا - يظلون معبرين عن الشعب ودوائرهم وافرادهم وان المساس بالبرلمان مساس بالامة وأن حل البرلمان ليس أمرا سهلا في الغرب مثلما يحدث في دول العالم الثالث بارك الله في برلماناتها!!

٦ - اذا كان هؤلاء النواب شيوعيين سابقين، فهذا ليس مشكلة لأن يلتسين نفسه شيوعي سابق بل هذا الرجل الذي يقود حملة امريكا للتصفية العرقية السياسية في موسكو، حاول الإنتحار عام ١٩٨٧ بقطع شريان يده لأنه استبعد من المكتب السياسي للحزب الشيوعي في موسكو. لقد كان يحب الحزب الشيوعي حتي الإنتحار(!!)

٧ - ان إجراء يلتسين بحل البرلمان لايشفع له أن البرلمان شيوعي فالمحكمة الدستورية العليا قضت بأن هذا إجراء غير دستوري، فما رأي الذين ينادون عندنا بإحترام الدستور بعد تعديله) هل يتعاملون بهذه البساطة المزرية مع قرار رئيس دولة غير دستوري ولاقانوني لا شرعي!!

٨ - ثم ان يلتسين لم يكتف بذلك، بل حل ١٦ حزبا وعددا من الجمعيات السياسية وأغلق صحفها..، مارأي السادة الأفاضل، هل هذه الإجراءات، إجراءات رجل ديمقراطي ينقذ وطنه من الشيوعيين، أم أنها إجراءات دكتاتور من العالم الثالث هبط فجأة على موسكو؟ إذا كانت كل هذه الاحزاب شيوعية فمعناه أن الشيوعية قوية وأن الشيوعيين متمزقون، لكنها في النهاية ساحة سياسية جماهيرية على كل الأحصنة أن تجري فيها.

٩ - يقولون ان حسب للاتوف وروتسكوي لوكانا يتمتعان بالشعبية لتحركت الجماهير والجيش للدفاع عنهما، ونحن ابناء العالم العربي أدرى «بمسخرة» الصراع على السلطة، لكن هذه أول مرة نسمع عن حكاية أن الجيش يميل في أي صراع إلى أصحاب الحق وليس إلى أصحاب السلطة، اذا كانت ملايين الجماهير قد أحجمت عن تأييد روتسكوي ولم تحمه، فهي أيضا أحجمت عن تأييد يلتسين ولم تحمه (٠) لأحد منهما استطاع إخراج الملايين من صندوق شعبيته لينطلقوا في الشوارع (!!)

١٠ - وعلى ذكر الجماهير، فان موقف أمريكا في هذا الصراع يثبت أنها لاتعادي المسلمين والعرب فقط لونا عن خلق الله ولاتعتمد سياسة هضم حقوق المسلمين فقط، انها ببساطة بموقفها ضد الديمقراطية في روسيا تكشف بوضوح الصورة (الملونة) والصوت (المجسم) انها مع مصالحها سواء كانت ضد الغرب أو الديمقراطية أو المسلمين.

عبد الناصر

عبد الناصر

لا أعرف هل لا يزال
الناصريون يذكرون (حتي
كبار مسئوليتهم.. كبار السن)
أن الإخوان المسلمين حاولوا

قتل عبد الناصر في حادث المنشية عام ١٩٥٤..

ولا أعرف هل لا يزال الناصريون يذكرون أن الإخوان هم
أنفسهم الذين دبروا محاولة إنقلاب ضد عبد الناصر واغتياله عام
١٩٦٥ (أدى الأمر كله إلى إعدام سيد قطب)؟!

من المؤكد أن الناصريين يذكرون..

لكن الذكرى لا تنفع الناصريين!!

منذ اللحظة الأولى لخروج الحزب الناصري إلى الحياة
السياسية (وكان خروجه قضاء.. وقدرًا!!) ولاحقته التوقعات أو

الشائعات ان الحكومة «أفرجت» عنه حتى يتحول إلى حزب يواجه الإخوان والجماعات المتطرفة، وقد بذل ضياع الدين داود - أمين عام الحزب - جهودا مشكورة (ربما شكره الإخوان أو الناصريون.. أو الحكومة) لنفي ذلك..

لكن أكثرنا لم يكن يتوقع أبدا أن يتحول الأمر الى العكس، فهذا تستر أو تهادن أو تحالف بين الناصريين والجماعات المتطرفة (...).

• • •

لنضع أولاً إشارات مرور في هذه القضية منعاً للالتباس أو للانفعال (وهي سمة غالبة في الحركة الناصرية):

١- إن أي ناصري يمكن أن ينفي هذا الكلام من جذوره لسبب بسيط... أن كل ناصري لا يمثل إلا نفسه، وليس أسهل من أن يقول لك: «الناصريون لا يرون ذلك»..

فتطلب منه مثلاً فيقول: «أنا أهوى أخى» (...).!! لا أحد حجة على الحركة الناصرية لأن كل ناصري يرى في نفسه حركة.. وحجة!!

٢- إن إختيار هذه القضية موضوعاً لنا جاء إحتراماً للناصرين ولخطورة القضية (تحالفاً أو تهادناً مع المتطرفين).

في معرض الكتاب عام ١٩٩٢ (وقبل إعلان الحزب الناصري)
جاء فريد عبدالكريم (وكان يومها ممثلاً وحيداً للحزب الناصري)
الى منصة المعرض للكلام بأسم الناصريين في العلاقة مع
إسرائيل والموقف من السلام (وكل هذه العناوين الكبيرة) وجاء
ممثلاً عن الحركة الأصولية الكاتب عادل حسين والذين حضروا
هذه الندوة اكتشفوا أن الزمن انقلب، وأن فريد عبدالكريم قد
يدفعه حماسه للانضمام الى الاخوان المسلمين، نعم.. فقد تحدث
عادل حسين وهو ممثل الأصوليين مستخدماً كل مفردات
السياسة ومصطلحاتها ومنطقها أفكارها، بينما تحدث فريد
عبدالكريم في نصف ساعة وأكثر مستخدماً الآيات القرآنية
والأحاديث النبوية وتعامل كأنه يخطب في صلاة جمعة في حي
إمبابة،

لقد استخدم الرجل الدين وأرتدى عمامته ونسى السياسية..
وقطعا - الناصرية!!

كان طبيعياً أن يتذمر كثير من الناصريين من هذا الأداء
لفريد عبدالكريم، وكان طبيعياً أكثر أن يصمموه بأي نعت سلبي..
وخلاص.

لكن المشكلة أن فريد عبدالكريم ليس وحده في هذا المضممار،
لقد فوجيء الجميع في إحدى جلسات اللجنة المركزية للحزب

الناصرى (التي عقدت في يناير ١٩٩٣ في مركز المؤتمرات بمدينة نصر) أن أحد أعضاء اللجنة وقف أمام الميكرفون (لأعرف هل يملك الناصريون محاضر هذه الجلسات.. فيديو أو تسجيلاً صوتياً.. أو كتابياً) قال هذا العضو (وكان من الصعيد) أن على الحزب المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية فوراً (....).

نعم.. لم يعلق أحد.. لكن أحداً لم يرفض أو يناقش أو يطالب بتوضيح الموقف وإبراز الرأي وإبراء الذمة!!

المشكلة أن هذا انتقل الى كافة قواعد الحركة الناصرية، هناك جهد منظم بين عدد من الناصريين للقيام بمحاولات في البحث الأكاديمي (لا هو بحث ولا هو أكاديمي) للإيحاء بالتلاصق والالتحام بين الناصرية والاصولية الإسلامية، لم يكن هذا إلا مسح تلفيق وتدليس يقوم به البعض لمحاولة إثبات أن عبد الناصر لم يكن علمانياً (١١) وكأنه لم يقض عمره كله للدفاع عن عقلانية الدولة ووقوفاً أمام التطرف والتجارة بالدين وكأنه لم يدخل صراعاً رهيباً وطويلاً ضد الإخوان المسلمين والنظم الرجعية المستخدمة للدين والمتاجرة به، دخل صراعاً معهم لأجل تقدم بلاده وتطور أمته وتحضر شعبه.

كأن عبد الناصر لم يفعل ذلك أبداً..

كأنه لم يكن علمانياً إطلاقاً..

المحاولات لم تكن نظرية فقط بل انعكست كذلك في موقف
انسحابي ضعيف وهش في كل الفترة السابقة حيث غلت نار
التطرف واشتد غليانها، فإذا بالحزب الناصري تائه وشائه وبلا
أي موقف وبلا أي حركة تجاه ما يحدث، وإذا كان عذره أنه بلا
أي حركة أصلاً، وأنه لم يفعل شيئاً في قضايا كثيرة حتى
يحاسب على أنه لم يفعل شيئاً في هذه القضية تحديداً.

إذا كان هذا عذراً يستكمل به سلسلة أعذاره عن تقصير
حركته وتقلص جماهيريته وتراجع أدائه وتحلل دوره وتفكك
أعضائه وتمزق رموزه، فإن له أعذاراً مقبولة في كل القضايا إلا
قضية التطرف والإرهاب.

فهى القضية المحورية التى رفعها عبدالناصر على كتفه وهى
سر عدااء أنظمة كثيرة له أدت إلى تحالفها ضده حتى تجرع سم
الهزيمة فى يونية ١٩٦٧ (١) ..

وهى صراعه الحضارى والفكرى والسياسى، ولم يكن صراعا
تنظيمياً أو معركة أمنية ضد تنظيمات لقلب نظام الحكم (١) ..

• • •

إن الناصريين لم يفعلوا أكثر مما فعلت أحزاب كثيرة، بل
والحكومة نفسها (١) ..

نعم.. لقد لعب الكل بالدين (.....: وتاجروا به) وتستروا على

الإرهاب وتحالف القوامع المتطرفين، فإذا كان تليفزيون الحكومة يعرض علينا ولنا صباح مساء برامج لشيوخ التطرف ورموزه ومحركي الفتنة وباعثي التعصب، هؤلاء الشيوخ الذين أسلموا مصر وشعبها لأفكار بدوية ومتعصبة لاتمت للإسلام بصلة (!!)..

وهذه هي الحكومات التي تركت المتطرفين يذهبون جسد مصر وعقلها في الجماعات والمدارس وسهلت لهم التحرك والتنظيم والمال - وأحيانا الأسطحة - وأسمنتهم المجاهدين.

وتواطئو معهم وفتحوا لهم أبواب مصر لقزوها وإحتلال قلبها وعقلها، أسلموا المتطرفين أرقام خزانة العقل المصري ليستولوا عليها ويفلسوا «عقل» مصر من كل منطق وفكر، ثم ساعدوا الجماعات أيضاً لبناء تنظيماتهم ومساجدهم وأطلقوهم في الصعيد يفعلون ما يريدون ويأمرون ويتسيّدون ويحكمون، ثم أخيراً جداً أفاقوا حين مست النار شعور رؤوسهم وأطراف أصابعهم حين قتلت السياحة واغتيلت الأموال (!!).

إذا كانت الحكومة أول من تحالف مع المتطرفين.. فقد كان طبيعياً أن يتحالف الجميع، ويتاجر الجميع.. إلا الناصريون.. ولكنهم - يا للحسرة - فعلوها!!

إن المتتبع لكل ما يكتبه الناصريون عن أحداث العنف والإرهاب في الشوارع المصرية يجد لهفة ولهثاً لإلقاء تهمة

التفجيرات على الموساد الإسرائيلي، وقد يكون الأمر كذلك (!!)
لكنه ليس صحيحاً على إطلاقه كما ان الجماعات المتطرفة ليست
حملاً وديعاً ولا ملاكاً طاهراً يستخدم الموساد اسمه.. والحقيقة
أن الموساد لم يستخدم الاسم فقط، بل استخدم الاسم والصورة
والأشخاص والعناصر والتنظيمات والجماعات (!!).

إن الناصريين - في محاولتهم ليكونوا حزياً معارضاً - شنوا
الهجوم على الحكومة واتهامها بكل النواقص (والحقيقة أنه ليس
أكثر من النواقص في الحكومة) إلا أنهم لم يفرقوا بين كونهم
معارضين للحكومة ومعارضين للوطن (!!)..

ويقول ضياء الدين داود: - التيار الاسلامي قوي في المجتمع
لا يمكن انكاره لابد من مواجهته بفكر وحوار، ولو انطلقت الحياة
السياسية للحوار والتلاقي بين القوي السياسية والتيار الإسلامي
فإن هذا سوف يساعد على نضوج التيار الإسلامي وتخطيه
مرحلة الشعارات الى الواقع والحوار السياسي المفتوح، وهذا
رأينا وحصيلة رؤيتنا - الأهالي ١٩٩٣/٨/٤.

والحقيقة ان هذا أيضا رأي اللواء عبدالحليم موسى وزير
الداخلية السابق وحصيلة رؤيته (!!)... فقد سعى لحوار -
ووساطة مع المتطرفين نفس ما سعى (وتفذهها) ضياء الدين داود
وأنصاره وناصر يوه (!!)..

ولا أعرف هل يدرك الناصريون أن الاسلاميين ضدهم قلباً
وقالباً.

وأنهم يكفرون عبدالناصر كما يكفرون الجميع (!!) وأنهم ضد
علمانية النولة وعقلانياتها.

وأنهم يدعون إلى «الحاكمية».. هل الجماعات تخلت عن ذلك
(متي ١٩)

أم أن الناصريين وافقوا على ذلك (أين ١٩)

هل.. مثلاً.. لو وصل المتطرفون للحكم سيتركون مساحة
للحزب الناصري (!!).

المشكلة أن الناصريين.. ولا أقهم أي عبقرية أشارت عليهم
بذلك.. قرروا التسوافق مع الأصوليين «عنداً في الحكومة».
و«احراجاً للنظام» وضغطاً عليه سعياً لإسقاطه (!!)..

لكن تحالف الناصريين مع الجماعات حب من طرف واحد،
فضلاً عن أنه طرف بلا أي مميزات تدعو أحداً (وما بالك
بالمطرفين) للتنازل له عن بعض أشياء.. (حتى لو كانت التخلي عن
تكفير رجل ميت هو جمال عبدالناصر!!!) لكن الحب.. والجهل..
يعمي ويصم.. إن الناصريين تخلوا عن المواجهة الحضارية للتفكير
الظلامي والتجارة بالدين، واكتفوا بفتات الطعام السياسي الذي
يتساقط من مائدة المتطرفين، لذلك فإن الهدنة والمصالحة

والتحالف ليس بالصمت عن جرائم التطرف، ثم من أفكاره (لم
أقرأ رأياً أكثر تهادنا وضعفاً ومشاشة مثل رأي فريد عبدالكريم
في فتوي الغزالي بقتل المرتد، يليه رأي ضياء الدين داود - في
الامالي ٩٣/٨/٤ لم يكتفوا بذلك، بل يحاولون تبرئة الإرهاب من
دم مصر، بالقاء اللوم على الموساد حيناً وعلى التورط الأمني
حيناً آخر (من يقرأ مقال ضياء الدين في جريدة العربي عقب
حكم براءة المتهمين بقتل رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب
السابق يتأكد ان ضياء يتهم الحكومة أو الأمن - بقتل المحجوب
حتى تستطيع الحكومة بيع القطاع العام)!!

إن مشكلة الناصريين والحزب الناصري هي مشكلة مصر
كلها (حكومة ومعارضة) إنهم - جميعاً - خلوا من الديمقراطية..
تطالب المعارضة بالتغيير وأنا معهم تماماً لكن الفارق بيني وبين
وبينهم أنني لا أطالب بتغيير الحكومة وإطلاق حرية تكوين
الأحزاب وإصدار الصحف والانتخاب الحر المباشر للرئيس فقط،
بل أطلب أيضاً بتغيير المعارضة.

إنهم جميعاً يحكموننا (حكومة ومعارضة) من القبور.. قبور
مصطفى النحاس وأحمد حسين وعبد الناصر وحسن البنا وسيد
قطب وأنور السادات، بينما نريد أن نعيش خارج «جبانة» التاريخ
قليلاً.

إن الكثيرين - وأنا معهم - ضد أسلوب المبايعة التي جرت لرئيس الجمهورية وطريقتها ، ويطالب البعض - ونحن منهم - بتعديل الدستور بحيث لا تصبح مدة انتخاب الرئيس مفتوحة مدى الحياة.. لكن ماذا تفعل أيضاً في المعارضة التي يحكمها زعمائها مدى الحياة.

إن فؤاد سراج الدين يحكم الوفد منذ ٤٥ عاماً (وليس ١٢ سنة فقط) ولم نسمع عن مرشح ضده وانتخاب حر له كذلك إبراهيم شكري الذي يحكم حزب العمل منذ نشأته (١٦ عاماً) وآخر «مبايعة» له كانت بالتصفيق (الحر المباشر) وبلا انتخابات وبلا منافسات وبلا مرشحين (وربما مثل نفس المرشحين الذي تم منعهم مجلس الشعب من تقديم أوراقهم للترشيح لرئاسة الجمهورية) وحزب التجمع يحكمه خالد محي الدين منذ نشأته عام (١٩٧٦) ولم نسمع عن مرشحين ضده أو نص لائح بمنع إنتخابه مدى الحياة، كذلك حزب الأحرار ومصطفى كامل مراد الذي زاد على ذلك بعدم إقامة أية مؤتمرات للحزب ولا حتي انتخابات، ولا يزال يحكم حزبه منذ ١٧ عاماً.

أما الناصريون، فهذا هو إنتخاب ضياء الدين داود تم «بالتصويت وقوفاً» ثم صاح الفريق محمد فوزي بعنف يؤنب هؤلاء الشباب الصغار الذين حاولوا أن يرشحوا أنفسهم ضده (نفس تائب مجلس الشعب!!)...

وكلهم انتخبوا بالإجماع والمبايعة (لانفريق بين احد منهم).

إنها - حقا أزمة مجتمع وكارثة وطن - والى رحمة نور على جمال عبدالناصر في كل ذكرى لوفاته حيث مات - رحمه الله - مرتين.. واحدة في سبتمبر والأخرى حين أصدر باباوات الناصريين صك الغفران للإخوان المسلمين من دم عبدالناصر(!!)

الزعماء العرب

تحليقا على ضرب لبنان.. وغير لبنان

اضربوا لبنان أكثر..
افعلوا فيها ما تريدون..
فنحن لن نفعل شيئا..

نحن لن نتحرك وإن نتطرق وإن ندافع وإن نقاوم وإن نصمد وإن
نتحرك وإن نتوقف وإن نتقدم وإن نتأخر.. وإن ترد وإن نصد وإن
نغضب وإن نلعن وإن نصرخ وإن نبكي.

فأضربوا لبنان أكثر..

بارك الله في مدافعكم وطائراتكم وقذائفكم وبيل كليتونكم
ووارن كريستوفر كم ومجلس أمنكم وئدي أمكم الذي أرضعكم
الشجاعة والصراحة والوقاحة بينما قضى سرطان الشدي على
الكرامة العربية.

إضربوا لبنان أكثر.

فنحن لو منكم نضربها أكثر وأكثر بل لانتوقف عن ضربها
أبدا فلا شيء يحدث من العرب إلا بيانات الاستنكار والشجب -

والشجن - (لاحرمننا الله منها) لا أكثر من صورة الصفحات
الاولى (وذلك المرأة التي تظهر في الصور منذ أكثر من ٤٠ عاما
تواول وتمسك بإبنها هاربة من القذائف)

اضربوا لبنان أكثر..

فأنتم لم تتوقفوا يوما عن الضرب ، ونحن لم نتوقف يوما عن
الصمت.

اضربوا لبنان بالأسلحة واضربونا نحن بالأحذية نحن جثث
ملقاة في مستنقع العجز والصمت والسكوت والسكون، نحن
شعوب منقسمة منقادة وراء حكام منقسمين، نحن لاننتمي الي
أنظمة حاكمة، نحن ننتمي الي أنظمة بال وسكام، نحن - في
الحقيقة - لاننتمي إلا إلى الخرافات والخزعبلات ومقامات
الموسيقى ومقامات أولياء الله الصالحين.

نعم أنتم من عالم مختلف عنا، هذا الصراع الدائر بين الغرب
وإسرائيل.. وبيننا ، صراع حضاري ونحن نهجر الحضارة
بإنتظام، نحن لاصلة لنا- من قريب أو بعيد - بأصل الحضارة وهو
العلم والديمقراطية، نحن دخلنا الي التاريخ عن طريق الخطأ
وسنخرج منه على سبيل الصدفة، نحن مشغولون بقتاوي تحريم
الفن ومن هو المرتد ووقف الغزو الأجنبي القادم مع الأطباق
الهوائية ونمنع تدريس كتب طه حسين ونهاجم المفكرين ونفرق في

بحر من الفساد السياسي والمالي والديكتاتوريات المظلمة
بإيتمسامة الرؤساء والحكام في صور رسمية معلقة وراء مديري
مصالح البريد والتمغة والمصل واللقاح!!

نحن غرقى في الحمق السياسي والديني المتطرف والحمي
اللاهثة للنفاق وراء صدام حسين والملك حسين والمعمّر قذافي
وخدام العروش والحرّات والأمرأ.

نحن يحكمنا حكام منذ قرون (تتغير وجوههم فقط ولا تتغير
مبادئهم أو عقولهم): وقادة أحزاب يحكمونها - بدورهم
عشرات السنين.. وتتصارع كلنا على الماضي.

نحن شعوب تستحق أن تقذف إسرائيل - لأجلهم - لبنان وغير
لبنان.

لو سألنا مواطنا في شارع يوش بالكويت أو شخصا عابرا
بالصدفة في أحد أحياء المغرب ، هل سمعت عن ضرب لبنان، لو
سألنا موظفا يخرج من مصلحة حكومية هل سمعت عن ضرب
لبنان، قد يقولون لك.. أبدا! أو دعهم يضربون.. عملوا لنا إيه
الفلستينيون!؟ (ينسى البعض أن سكان لبنان لبنانيون). وهم
نفس المواطنين الذين ستجدهم مشغولين في جدة ببرامج محطة
تليفزيون الشرق الأوسط.. وهم أيضا الذين يكتبون في صحفهم
يُحملون حزب الله مسؤولية ما حدث؟

منذ ٨٩٧ عاماً فرح بعض العرب بقدوم بعض الحكام الصليبيين
إلى القدس حتى يتخلص الحكام العرب من الحكام العرب.

ومنذ ٧٩٧ عاماً استعان بعض الحكام بالصليبيين ليتخلصوا
من بعض الحكام العرب.

ومن ٦٩٧ عاماً و٤٩٧ عاماً و٣٩٧ عاماً ومنذ ٩٧ يوماً.. باع
العرب كل ما يمكن بيعه للفرنجة.. للغرب.. للأمريكان من أجل
بعض المقاعد وبعض السلطات وبعض الحكام (١١)

وهم أنفسهم السعداء بالتخلص من حزب الله، حيث لا علاقة
لله بهذا الحزب. ولا بهذا الحزن!! إن الرئيس الأمريكي يشكر
سوريا على ضبط النفس (لم نسمع يوماً أن دولة عربية لم
تضبط نفسها!!) ثم تطالب إسرائيل بعدم اللجوء إلى الهجوم
البري «وليه يا راجل» هذه هي العدالة الأمريكية التي تشترط على
العراق أن يضع كاميرات تليفزيونية على مداخل هيئة الطاقة
النووية، وهي نفسها العدالة الأمريكية التي تحاسب ليبيا على
طائرة مشتببه في نسفها!! عدالة أمريكا ليست محل جدل أو
نقاش.. إنها عدالة فوق الجميع ثم إن كل حكامنا العرب راضون
على هذه العدالة، ساعون إليها، ويزدحمون - بوفودهم ومندوبيهم
ورجالهم - في مقابضات السلام بالشرق الأوسط هذا هو السلام
وهذه هي الشرق الأوسط وهذا هو نحن!!

نحن العرب الذين أجرؤا كرامتهم ورهنوا قرارهم ودماعهم
وحياتهم وأعضائهم التناسلية لمن يدفع أكثر، ولن يضرب أكثر.

سكوت

قال بيللا ومن السبع النسخ التي

قامت بها (إنه سبع حنا من ربح، والسبع النسخ التي) والآخر من
الآخر من الزاوية أو الفنون أو ستوكيا، السبع من الفنون
لأنها كانت من الفن الكلاسيكي، السبع من الفنون الكلاسيكي
من الفن الكلاسيكي، السبع من الفن الكلاسيكي، السبع من الفن
الكلاسيكي، السبع من الفن الكلاسيكي، السبع من الفن الكلاسيكي

أما سكر النسخ التي (إنه سبع حنا من ربح، والسبع النسخ التي)
الآخر من الزاوية أو الفنون أو ستوكيا، السبع من الفنون
لأنها كانت من الفن الكلاسيكي، السبع من الفن الكلاسيكي
من الفن الكلاسيكي، السبع من الفن الكلاسيكي، السبع من الفن
الكلاسيكي، السبع من الفن الكلاسيكي، السبع من الفن الكلاسيكي



الآخر من الزاوية أو الفنون أو ستوكيا، السبع من الفنون

To: www.al-mostafa.com